الإمام الشافعي
والفكر السلفي

تأليف
رمضان أحمد عبد ربه عصفور
كبير الأئمة بوزارة الأوقاف

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية . عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعـة الأولى

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

اهـــــداء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾

[الأنعام: ١٥٩]

سيدى رسول الله
أقدم بين يديك هذا الكتاب متواضعا
لعله يكون دعوة حق إلى الذين أحرقتهم
الفتنة بنارها ومزقتهم الفرقة بأنيابها
لعلهم يفقهون !!!

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

● الحمد لله رب العالمين . أحمده وأستعينه وأستهديه . وأعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . والصلاة والسلام على المبعوث فينا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا، ورضى الله تعالى عن آل بيته وصحابته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد ...

إن الإمام الشافعى رضى الله عنه . عالم موسوعى تكلم فى علوم وفنون كثيرة فى القرآن وعلومه تلاوة وتجويدا وتفسيرا وفى السنة وعلومها وفى الفقه وأصوله واللغة العربية وآدابها . وفى الطب والأثر وحساب الأوفاق وغيرها كعلوم العقيدة والتصوف وألف وصنف فى العلم . الذخائر . وقال وحاور وناظر الأعلام . ولم تأخذه فى الله لومة لائم . ولم يخش أحدا إلا الله تعالى . فشهد له الأئمة والعلماء وبايعته الأمة بالإمامة .

● ولقد كان مؤمنا تقيا ورعا زاهدا عابدا . يخاف الله عز وجل فى كل لمحة وبصر، كما كان سخيا جوادا كريما . وحسبه شرفا وكرامة أنه من أبناء عمومة النبى ﷺ . وهو عالم قريش المجدد للأمة أمر دينها على رأس المائة الثانية للهجرة[(١)] .

يقول الإمام التقى الورع . أحمد بن محمد بن حنبل رضى الله عنه :

(كان الشافعى كالشمس للدنيا وكالعافية للناس) .

---

(١) سيرته فى كتابنا : الإمام الشافعى .. فقيها ومحدثا .

● لقد التقيت مع الإمام الشافعى فى كتابين سابقين . وهذا ثالثهما . أرجو الله تعالى أن يتقبلهم منا . وهذا بعض حق الإمام الشافعى رضى الله عنه علىَّ كمسلم أولا وكمنتسب لمذهبه الفقهى والعقدى ثانيا فبضاعتى الفقهية والعقدية جلها من علمه وفكره وثقافته .

وهذا الكتاب أحاول فيه – بكل تواضع – أن أبين موقف الإمام من قضية العقيدة التى هى أخطر قضايا الإسلام وأعظم مهمات الدين فعليها تبنى الأحكام والشرائع وبها نعرض على ربنا عز وجل . كما نبين موقفه من كافة الاتجاهات والآراء فى هذه القضية الخطيرة وأسميته : (**الإمام الشافعى والفكر السلفى**) .

● اللهم ما كان فيه من حسن فهو من فضلك وتوفيقك وهدايتك . وما كان فيه من تقصير فهو منى . أرجو رحمتك وعافيتك . وأن تنفع به شباب أمتى الذين انخدع أكثرهم بفكر موجه وعقيدة مضطربة . اللهم ثبتنا وإياهم بالقول الثابت فى الحياة وفى الآخرة واجعلنا من عبادك المبشرين بنعيمك ورضوانك . واجز عنا كل من ساعدنا فى هذا الأمر وعلى رأسهم الأخ الكريم **الحاج / وهبة حسن وهبة** الذى التقت رغبته برغبتى فكان هذا العمل الذى لا نبغى به إلا وجه الله تعالى .

وصلاة وسلاما على النبى المصطفى وآله وصحابته الكرام ورضى الله عن سيدنا الإمام الشافعى رضى الله عنه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المؤلف
رمضان احمد عبد ربه عصفور
كبير الأئمة بوزارة الأوقاف
وشيخ مسجد الشيخ محمد شغراب
بحدائق القبة – القاهرة

حدائق القبة :
فى الأول من ذى القعدة ١٤٢٢ هـ
١٦ / ١ / ٢٠٠٢م

(١) الإسلام وحاجة الإنسانية إليه

الإسلام هو : دين الله عز وجل المختار . الذى رضيه لعباده . واصطفى لتبليغه خيرة خلقه . قال الله تعالى : ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ** ﴾

[آل عمران : ١٨-٢٢]

إن الإسلام هو آخر الرسالات العظمى . تلك الحركات القوية التى أحدثت ثورة فى العالم وغيرت مصائر الأمم والشعوب . والإسلام ليس آخر الأديان فحسب ولكنه الدين الشامل الذى يضم بين جوانبه كل ما جاءت به الأديان الأخرى التى جاءت قبله وأهم العلامات المميزة للإسلام هو : أنه يطلب من المسلمين أن يعتقدوا ويؤمنوا بكل الرسالات الأخرى التى سبقته والتى أنزلها الله تعالى، هذا هو المبدأ الأساسى فى الإسلام، وينبغى كذلك على المسلم أن يؤمن بكل الأنبياء الذين جاءوا قبل محمد ﷺ . ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ** ﴾ [البقرة : ٤]

﴿ **قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ**

وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٦]

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]

وهكذا فإن المسلم لا يؤمن بالنبى محمد ﷺ فحسب ولكنه يؤمن بكل الانبياء الآخرين أيضا. وكما عبر القرآن الكريم فقد ظهر هؤلاء الأنبياء فى كل الأمم. ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾

[فاطر: ٢٤]

إن المسلم هو الذى يؤمن بكل الأنبياء وبكل الكتب التى جاءت إلى الأمم السابق.

وهناك ميزة أخرى للإسلام تعطيه مكانة خاصة بين الأديان.

فبالإضافة إلى كونه آخر الرسالات وأشملها فهو التعبير الكامل عن الإرادة الإلهية حيث يقول القرآن الكريم: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]

ومثل أى نوع من أنواع الوعى. فإن الوعى الدينى للإنسان قد تطور منذ عصور سحيقة وتنزيل الحقيقة العظمى من السماء قد تدرج حتى اكتمل بالإسلام. وإلى هذه الحقيقة العظمى يشير المسيح عيسى (عليه السلام): (ما زال عندى أمور كثيرة أقولها لكم ولكنكم الآن تعجزون عن احتمالها. ولكن عندما يأتيكم روح الحق يرشدكم إلى الحق كله. لانه لا يقول شيئا من عنده. بل يخبركم بما يسمعه. ويطلعكم على ما سوف يحدث) [إنجيل يوحنا ١٢، ١٣ – ١٦].

وبالتالى فإن رسالة الإسلام العظيمة تحقق السلام فى العالم بإقامة الإخاء بين كل الناس. وتجمع كل الحقائق الدينية التى جاءت بها الرسالات السابقة. وتصحح أخطاءها وتمحص الخبيث من الطيب. وتدعو إلى الحقائق الأبدية التى لم يدع إليها أحد من قبل بسبب ظروف الجنس أو المجتمع التى كانت تسود فى مراحل التطور الأولى.

وأخيرا فهى تواجه المتطلبات الروحية والخلقية للإنسانية دائمة النمو أ.هـ(١).

ومصادر الإسلام الأساسية هى:

القرآن الكريم. والسنة الشريفة، والإجماع. والقياس.

إثنان نصيان، وإثنان اجتهاديان، فالسنة والإجماع والقياس كلها ترجع إلى القرآن.

قال الله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ** ﴾ [محمد: ٢]

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ [الزخرف: ٣]

وقال تعالى: ﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** ﴾

[النحل: ٤٤]

وقال تعالى: ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** ﴾

[الحشر: ٧]

وقال تعالى: ﴿ **مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ** ﴾ [النجم: ٢-٤]

وقال تعالى: ﴿ **وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ** ﴾ [البقرة: ١٢٩]

---

(١) دين الإسلام تاليف: مولانا محمد على: ١٠ - ١٢.

يقول الإمام الشافعى رضى الله عنه: الحكمة: سنة رسول الله ﷺ.

وقال عز وجل: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾ [النساء: ١١٥]

إن القرآن الكريم هو المصدر الأول للإسلام. وباقى المصادر تعود إليه شارحة له ومبينة لأحكامه. ومعتمدة عليه تستمد منه قوتها فى الاستدلال ومعرفة أحكام القرآن.

لذلك كان القرآن العظيم هو كتاب المسلمين الأول ودستورهم العظيم الذى لا بديل له، والانحراف عنه. اتباع لغير سبيل المؤمنين. ويكون فى هذا الضياع والخسران المبين. إن الإسلام هو دين البشر جميعا. فهو لا يعرف حدودا. ولا يميز بين أمم أهل الأرض، لقد سبق للإسلام فى عصوره الأولى أن وحد الإنسان مع أخيه الإنسان بحيث أصبح قلب الرجل فى أقصى الشرق ينبض متجاوبا مع نبض أخيه فى أقصى المغرب. لقد انمحت فوارق اللون والجنس واللغة والحدود الجغرافية والفوارق الثقافية.

وبهذا برهن الإسلام على قدرته الهائلة الموحدة للناس. بل هو القوة الوحيدة القادرة على قيام أرقى الحضارات الإنسانية. وقد كان. لأنه دين يقوم على الإيمان بالله الواحد الأحد كما يؤمن بوحدة الإنسان. وهو دين الرحمة والعدل والمساواة والمحبة والإخاء قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾

[الحجرات: ١٣]

والإسلام كغيره من الأديان السماوية التى تهدف إلى تحقيق الأمن والأمان للإنسان ولكن الإسلام يتفوق على غيره لعالميته وإقليمية غيره من الأديان الأخرى قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ووجه الإنسان، ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ

﴿ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص : ٧٧]

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ ﴾

[الجمعة : ١٠]

لقد أنقذت الأديان البشرية – على طول تاريخها – من التردى إلى الهاوية والدمار . فهى دائما كانت تعطى البشر القوة الإيمانية الرفيعة لقيام الحضارة الإنسانية التى تقوم على الدين . فقوة الدين قوة هائلة تبنى ولا تهدم . وتحمى ولا تبدد . وما شقيت البشرية إلا بتولى ظهورها للأديان وعبدت المادة . وائتمرت بأوامرها . وغيرت وبدلت فى أديانها وشرائعها الإقليمية . ثم وجهوا للأديان الطعنة تلو الأخرى . والتخلى عن الشرائع والقوانين الإلهية وإبدالها بشرائع ونظم بشرية مادية . ثم اتهموا الأديان بأنها باعثة على التخلف والضعف . وأنها سبب نكبات البشر .

قال مولانا محمد على(١) : وكثيرا ما يقال : إن الدين مسئول عن حالة الكراهية وعن بحار الدماء التى تسود العالم ، ولكن نظرة سريعة إلى تاريخ الأديان تبين أن هذا تصور خاطئ . فرسالة كل الأديان هى : الحب والوفاق . والتعاطف والشفقة على بنى الإنسان . وقد تعلمت كل أمة هذه المبادئ فى حالة نقائها الحقيقى من خلال روح الإيثار والخدمة اللذان أوصى بهما الإيمان بالله (تعالى) .

أما إذا كان هناك كراهية أو أنانية أو بحار من الدماء . فقد وجدت رغم أنف الأديان وليس نتيجة لرسالة الحب التى جاءت بها الأديان . لقد وجدت هذه الأشياء لأن الإنسان ميال إليها ، وأن وجودها يبين أننا مازلنا فى حاجة إلى يقظة دينية . وأن الإنسانية فى حاجة ملحة إلى إيمان حقيقى بالله (عز وجل) .

وإذا استدار الإنسان فى اتجاه الهبوط . فهذا لا يعنى أن العواطف الرفيعة قد فقدت قيمتها . ولكنها تعنى أن الإنسان فى حاجة إلى تطور سريع . أ .هـ .

---

(١) ص ١٤ ، ١٥ .

وأقول – بكل تأكيد – سيظل الإسلام هو القوة الإيمانية الوحيدة القادرة على حماية البشرية من أمراضها وأوجاعها. وهو الدواء الناجع لها من غول المادية المفرطة التى أفقدت الناس صوابهم حتى أصبحت هى المقياس والمعيار لكل شئ.

والإسلام وهو دين الله المحفوظ بحفظه عز وجل: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ [الحجر: ٩] هو قوة الغد المأمول فيها لحماية البشرية بوقف هذه الصراعات والحملات المسعورة من الأقوياء على الضعفاء. ومن الأغنياء على الفقراء.

لأن الإسلام دين رحمة ومحبة تقوم شريعته على العدل والصدق فى علاقة الإنسان بربه عز وجل وفى علاقاته بالآخرين على اختلاف مستوياتهم.

فلابد للإنسانية من العودة إلى الإيمان بالله عز وجل. ولابد للمسلمين من رعاية حقوق دينهم والمحافظة على شريعتهم. فإن فى ذلك خيرى الدنيا والآخرة.

قال الله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ (فصلت: ٣٣]. إن الإسلام دين مؤسس على عقيدة إيمانية تتصف وتتميز بكل أسباب القوة لا تلوث فيها ولا غموض فى فهمها. ولا حجر على أحد فى التعرف عليها. وبالعكس الكل مطالب لأن يتعرف على مفردات العقيدة ومعرفة أدلتها. ولهذا لا يفيد إيمان المقلد فى الإسلام ما دام قادرا على تحقيق التعرف على عقيدته بأدلتها.

وللإسلام شريعته التى تقوم على العدل والحق والمساواة والواجب والسلام وله أخلاقه وآداب سلوكه المبنية على الحب والود والوفاء والرحمة والإخاء.

إن العقيدة الصادقة تثمر عملا صالحا. والعمل الصالح يثمر أخلاقا طيبة. والإسلام دين ودنيا، فعلى الإنسان فى ظل الإسلام أن يساهم فى عمارة هذا الكون وأن يبنى لنفسه مستقبله فى الدار الآخرة. والإسلام يوازن بين مطالب الدنيا ومطالب الآخرة. بحيث لا تبغى إحداهما على الأخرى.

لذا استطاع المسلمون على مدار تاريخهم أن يقيموا حضارات إنسانية وأن يسهموا فى إسعاد البشرية. مما أوجع قلوب أعدائهم وزاد فى حقدهم على الإسلام وأهله. مما كلف المسلمين كثيرا فى ميادين القتال والكفاح. ﴿ **إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** ﴾ [محمد: ٧]

(٢) العقيدة فى الإسلام

إن العقيدة هى : الأساس القوى والمتين الذى تُبنى عليه أحكام الإسلام وشرائعه وهى : تقوم على أصلين ثابتين هما :

(١) الإيمان بواحدانية الله عز وجل وأنه المعبود ولا معبود سواه .

(٢) التصديق بنبوة سيدنا : محمد ﷺ وبكل ما جاء به من قرآن وسنة والتصديق بهذين الأمرين يفرض على المسلم ضرورة الالتزام بالعمل بأحكام الله قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً** ﴾ [النساء: ١٣٦]

وروى فى الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى حديث طويل : أن جبريل عليه السلام سأل النبى ﷺ : ما الإيمان؟

قال : (الإيمان : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وما فيه . وأن تؤمن بالقدر خيره وشره) . قال – أى جبريل عليه السلام – صدقت .

ومصدر العقيدة فى الإسلام: هو : كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ ولم يترك الإسلام للعقل – رغم تمجيده – أى مجال فى العقيدة يعمل فيه . سوى استقبال النص والاطمئنان على سلامته . ومحاولة فهم هذا النص فى ضوء القواعد الشرعية المسلَّم بها لأن أمور العقيدة من الغيب الذى لا يقع تحت دائرة حس الإنسان . وما شقيت البشرية إلا بالسماح للعقل أن يقتحم هذا الحصن المنيع ويعمل فيه بإمكاناته وقدراته البشرية المحدودة والأمر أرفع وأجل وأعظم من ذلك بكثير . لذا تردى الكثير فى الهاوية ﴿ **وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ** ﴾ [سبأ :١٣]

فالقرآن الكريم وتفسره السنة الشريفة قد حسم قضية العقيدة بطريقة سهلة ومبسطة للإنسان. رغم أنه الحديث عن الغيبيات.

وحسبنا أن نذكر بعض النصوص وليس كلها. لأنه يضيق بأجمعها المقام.

قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ *** ﴾ [الإخلاص].

﴿ **وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ** ﴾ [النمل: ٥١].

﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [المائدة: ٧٣]

﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ** ﴾ [المائدة: ٧٢]

﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً * لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ** ﴾ [النساء: ١٧١، ١٧٢]

﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا** ﴾ [النساء: ١١٦]

وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا** ﴾ [الأحزاب: ٤٥]

﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** ﴾ [الحشر: ٧]

﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ** ﴾ [الأحزاب: ٢١]. وقال تعالى: ﴿ **وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ** ﴾ [البقرة: ١٦٣]

﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ * لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ * وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى * اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ [طه: ٥ – ٨]

﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾

[الإسراء: ١٠]

﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح: ١٠] ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الطور: ٤٨]

﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾ [طه: ٣٩]

﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٧]

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد: ٤]

فهذه نصوص قرآنية ومثلها فى السنة كثيرة يضيق المقام هنا بذكرها، إن هذه النصوص وأشباهها. قد تناولها الصحابة الكرام وسائر علماء التابعين بالحيطة والحذر. وبالفهم الواعى بإيمان صادق حذر. ورؤية نورانية خاشعة. ببصيرة نيرة وعقل خاشع خاضع لله عز وجل.

فبعضهم كان مفوضا المعنى المراد منها لعلم الله تعالى. وتلاوتها كما نزلت. يترجم عن هذا المعنى الإمام سفيان الثورى رضى الله عنه فيقول: (فهم هذه الآيات – آيات الصفات – هو تلاوتها كما جاءت وتفويض العلم بها لله تعالى).

وهذه الطريقة – إيمانيا – أسلم. لأننا – من وجهة نظرى– نمتحن بها إيمانيا والله أعلم والبعض الآخر يؤول ما يوهم ظاهره التشبيه. وذلك فى حدود ما تسمح به اللغة العربية وقواعد الشريعة الإسلامية. فهم يحاولون فهم المعنى من هذا السبيل ويقولون: لقد علمنا الله تعالى: التأويل فى كتابه العزيز. أى عدم إرادة ظاهر النص الوارد إذا كان يوهم تشبيها وعلى هذه القاعدة الواضحة للتأويل المبنية على نصوص الكتاب والسنة سار الصحابة والتابعون وأتباعهم وأئمة الاجتهاد والحفاظ والمحدثون. فلقد أول ابن عباس رضى الله عنهما وهو الذى دعا له رسول الله ﷺ : (اللهم علمه الكتاب) رواه البخارى.

لقد نقلت عنه تأويلات كثيره لبعض آيات الذكر الحكيم. منها:

– أول قول الله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ [القلم: ٤٢]. فقال: «يكشف عن شدة». فأول الساق بالشدة. (ذكره ابن حجر في الفتح ١٣/ ٤٢٨).

– وذكر ابن جرير الطبرى فى التفسير (٢٩/ ٣٨) قال:

قال جماعة من الصحابة والتابعين من أهل التأويل: (يبدو عن أمر شديد).

ويذكر ابن جرير أيضا عن مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغيرهم مثله.

– وأول ابن عباس قوله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٧] قال «بقوة» ذكره الطبرى فى التفسير (٧/٢٧)

– ونقل الطبرى فى التفسير (٢٧/ ٧) فى قوله تعالى ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذريات: ٤٧] (بالقوة) عن جماعة من أئمة السلف منهم مجاهد وقتادة وابن زيد وسفيان.

– وأول الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه: قوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر: ٢٢] أنه جاء ثوابه رواه البيهقى وابن كثير فى البداية والنهاية ١٠/ ٣٢٧.

وفى رده على الجهمية حين احتجوا عليه بقول الله تعالى: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢] قال: يحتمل أن يكون تنزيله إلينا هو المحدث لا الذكر نفسه هو المحدث.

وعن حنبل بن إسحاق عن أحمد أنه قال: (يحتمل أن يكون ذكر آخر غير القرآن) ذكره ابن كثير فى البداية والنهاية أيضا (١٠/ ٣٢٧).

– وروى الخلال بسنده عن حنبل عن عمه الإمام أحمد بن حنبل أنه سمعه يقول: .

– احتجوا عليَّ يوم المناظرة فقالوا: تجئ يوم القيامة سورة البقرة .. الحديث.

قال: فقلت لهم: إنما هو الثواب. أ.هـ

– وذكر البيهقى فى الأسماء والصفات عن البخارى أنه قال: (معنى الضحك الرحمة).

– وروى ابن الجوزى فى (رفع شبه التشبيه) والبيهقى فى الأسماء والصفات:

أن النضر بن شميل الحافظ السلفى اللغوى قال:

إن معنى حديث: (حتى يضع الجبار فيها قدمه. أى من سبق فى علمه أنه من أهل النار فهذه النقول مجرد ذكر أمثلة. تبين لنا كيف كان السلف الصالح يؤولون وإلى أى مدى كانوا يبعدون عن القول بالمعنى الظاهر الذى يوهم التشبيه أو التجسيم. جل البارى عن ذلك علوا كبيرا ولقد كان إمامنا الشافعى رضى الله عنه مقتديا بهؤلاء السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان. وهو برئ مما اتهمه به بعض دعاة سلفية عصرنا من أنه كان يتناول هذه المسائل بمثل ما يقولون به ومقولاتهم. مقولات المشبهة والمجسمة حاشا لله تعالى أن يكون الإمام على هذا النحو. وسوف نرى على الصفحات التالية كيف كان موقف الإمام من علماء الجدل والكلام ومن المشبهة ومن الرافضية وطوائف الشيعة بصفة عامة. والله ولى التوفيق.

* * *

(٣) الإمام الشافعى وعلم الكلام

علم الكلام ويسمى أيضا علم التوحيد وعلم أصول الدين. وهو: العلم الذى يبحث فى الإلهيات وفى النبوات وفى السمعيات. وهذه الأمور هى: موضوعه وقال المتكلمون: إن شرف العلم من شرف موضوعه، وهذا العلم هو أشرف العلوم لشرف موضوعه كونه يبحث فى هذه الموضوعات الشريفة.

وقد اختلف الناس حوله. فمن قائل: إنه بدعة أو حرام وأن العبد إذا لقى الله عز وجل بكل ذنب سوى الشرك خير له من أن يلقاه بالكلام، كونه علما يقوم على منهج الجدل العقلى. والقرآن الكريم والسنة الشريفة قد ورد فيهما القول الفصل فى هذه المسائل. فما نزل فى القرآن أوروى فى السنة آمنا به وقلنا به وما سكت عنه القرآن والسنة سكتنا عنه. لأنه لا يجوز للعقل أن يبحث ويجادل فى أمور هى من الغيبيات. ومصدر المعرفة بها هو الوحى وحده.

وقال آخرون: إنه فرض واجب إما على الكفاية أو على الأعيان وأنه أفضل الأعمال وأعلى القربات. فإنه تحقيق لعلم التوحيد ونضال عن دين الله تعالى. وإلى القول بالتحريم. ذهب الشافعى ومالك وأحمد بن حنبل وسفيان بن عيينة والحسن. وجميع أهل الحديث من السلف رضى الله عنهم.

قال ابن عبد الأعلى – تلميذ الشافعى –: سمعت الشافعى رضى الله عنه يوم ناظر حفصا الفرد – وكان من متكلمى المعتزلة – يقول: لأن يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله. خير من أن يلقاه بشئ من علم الكلام. ولقد سمعت من حفص كلاما لا أقدر أن أحكيه.

وقال أيضا: قد اطلعت عن أهل الكلام على شئ ما ظننته قط. ولأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر فى الكلام.

وقال يونس بن عبد الأعلى رحمه الله تعالى: أتيت الشافعي بعدما ناظر في الأصول مع حفص الفرد. فقال: غبت عنا يا أبا موسى: ولقد اطلعت من أهل الكلام على شئ ما توهمته قط. ولأن يبتلى المرء بجميع ما نهى الله عز وجل عنه سوى الشرك بالله. خير من أن يبتليه الله عز وجل بالكلام.

وحكى الكرابيسي: أن الشافعي رضي الله عنه. سئل عن شئ من الكلام فغضب وقال: سل عن هذا حفصا الفرد وأصحابه. أخزاهم الله.

ولما مرض الشافعي رضي الله عنه دخل عليه حفص الفرد فقال له: من أنا؟

فقال: حفص الفرد. لا حفظك الله ولا رعاك حتى تتوب مما أنت فيه.

وقال أيضا: لو علم الناس ما في الكلام من الأهواء لفروا منه فرارهم من الأسد.

وقال: إذا سمعت الرجل يقول: الاسم هو المسمى أو غير المسمى؟ فاشهد بانه من أهل الكلام ولا دين له.

وعن أبي ثور رحمه الله تعالى قال: قلت للشافعي: ضع في الكلام شيئا.
فقال: من تردى في الكلام لم يفلح.

وقال له أيضا: ما ابتدى أحد بالكلام فأفلح.

وروى الربيع بن سليمان عن الشافعي أنه قال: لو أن رجلا أوصى بكتبه من العلم لأحد. وكان فيها كتب الكلام. لم تدخل تلك الكتب في الوصية. لأنها ليست من كتب العلم. ولو أوصى لأهل العلم لم يدخل أهل الكلام في تلك الوصية.

وقال: لو علم الناس ما يحل بالعالم بالكلام من العذاب لفروا منه كما يفر الإنسان من الأسد.

وقال: إياكم والنظر في الكلام فإن رجلا لو سئل عن مسألة في الفقه فأخطأ فيها كما لو سئل عن رجل قتل رجلا فقال: ديته بيضة. كان أكثر شئ أن يضحك منه ولو سئل عن مسألة في الكلام فأخطأ فيها نسب إلى البدعة.

وقال الحسن بن محمد الزعفرانى قال الشافعى : حكمى فى أصحاب الكلام أن يُضربوا بالجريد ويطاف بهم فى القبائل والعشائر ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ فى الكلام .

وقال المزنى : سمعت الشافعى يقول : الكلام يلعن أهل الكلام .

وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : سمعت أبى يقول : خير خصلة فى الشافعى أنه ما كان يشتهى الكلام إنما همته الفقه .

وعن الربيع عن الشافعى قال : رأيت أهل الكلام يكفر بعضهم بعضا . ورأيت أهل الحديث يخطئ بعضهم بعضا . والتخطئة أهون من التكفير .

وأنشد رضى الله عنه فى ذم الجدل والكلام فقال :

لم يبرح الناس حتى أحدثوا بدعا   فى الدين بالرأى لم تبعث بها الرسل

حتى استخف بدين الله أكثرهم   وفى الذى حملوا من حقه شغل

وأقول : ولم يصدر حكم الإمام الشافعى (رضى الله عنه) على علم الكلام والمتكلمين عن هوى أو عن جهالة . وإنما عن علم ومعرفة ودراية بكل مسائله وقضاياه . ومنهج البحث فيه على طريقة المتكلمين .

وترجع أهم أسباب رفضه الاشتغال بعلم الكلام إلى أمرين :

الأول : إن الاشتغال بهذا العلم يأخذ بالإنسان إلى الهاوية والضلال فى بعض مسائله . ولا فائدة ترجى من وراء البحث والجدل على طريقة المتكلمين إلا وراثة الشك والقلق .

الثانى : إن المعتزلة هم أول الناس اشتغالا بهذا العلم . وهم الذين روجوا له وطلبوا من الخلفاء وخاصة فى الدولة العباسية حمل علماء المسلمين جميعا على الأخذ بآراء المعتزلة فى أمر العقيدة .

روى عن المزنى أنه قال : كنا على باب الشافعى رضى الله عنه نتناظر فى الكلام فخرج إلينا . فسمع بعض ما كنا فيه فرجع عنا . ثم خرج إلينا . وقال : ما

منعني الخروج إليكم إلا أنني سمعتكم تتناظرون في الكلام . أتظنون أني لا أحسنه؟ لقد دخلت فيه حتى بلغت مبلغا عظيما إلا أن الكلام لا غاية له . تناظروا في شئ إن أخطأتم فيه يقال أخطأتم ولا يقال كفرتم . وعند الحاكم : ولا تناظروا في شئ إن أخطأتم فيه يقال كفرتم .

قال البيهقي : وهذه الحكاية تدل على أن الشافعي كان عالما بهذا العلم إلا أنه ما كان بفتح فيه باب المناظرة من المفاسد المتولدة منها . أ.هـ.

إن ذم الشافعي رضي الله عنه لهذا العلم . لم يكن رفضا له أو جهلا به . ولكنه كان يكره طريقة المتكلمين وجدالهم وإثارتهم للفتن وتعرضهم للكلام في أمور تفرق كلمة الأمة . وتنزع عنها لباس الوحدة والألفة والمحبة .

إنه كان يحب البحث في علم الكلام (أصول الدين) بمنهج القرآن والسنة .

فالإمام رضي الله عنه كان قرآني العقيدة بمعنى : أنه كان يرى أن في القرآن والسنة الكفاية في أمور العقيدة الإسلامية . ولا يجوز للعقل أن يبحث ولا أن يجادل في أمورها . لأنه لا اجتهاد في العقيدة فهي تؤخذ من الوحي .

وقد روى أن الإمام الشافعي رضي الله عنه كان له كتاب اسمه : من نوادر الأصول في علم التوحيد – الفقه الأكبر – شرح فيه علم التوحيد على هذا النحو :

شرائط وجوب المعرفة – معنى النظر – الخالق والمحدث – الوحدانية – ليس الله بجوهر ولا جسم ولا عرض – الصفات والذات – صفة الكلام – الرؤية – أفعال العباد . الخلق لله والكسب للعبد . لا يجب على الله شئ – خلق الله العالم لا عن علة – البعث – النبوءات – المعجزات – عصمة الأنبياء – المعصية لا تنفي الإيمان – الشفاعة – وجود الجنة والنار الآن – عذاب القبر ونعيمه – الميزان والصراط – الإمامة) [راجع هامش مناقب الشافعي للرازي ص ٩٧] .

ومعنى هذا أنه كان يتكلم في العقيدة بمنهج الكتاب والسنة لا بمنهج

علماء الكلام لما رآه من الفتن العظيمة التى وقعت فى ذلك الزمان بسبب خوض المتكلمين فى مسائل مبتدعة ومشاكل مصطنعة . كما حدث من المعتزلة وغيرهم من المبتدعة فى مسألة خلق القرآن وغيرها . وقد استعانوا فى ذلك بجبروت السلطان وقهروا أهل الحق . ولم يلتفتوا إلى دلائل المحققين من علماء أهل السنة حتى كانت محنة الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه .

فلما عرف الإمام الشافعى رضى الله عنه أن البحث فى هذا العلم فى هذا الزمان ليس لله وإنما للدنيا التى يطلبونها . ولم يأخذ المتكلمون فيه بمنهج الصحابة الكرام ولم يكن البحث فيه هدفا للشافعى الذى كان هدفه العلم بالسنن والأحكام والشرائع الفقهية .

لذلك ترك البحث فى مسائل العقيدة - رغم علمه بها - ورأى فى ذلك السلامة فى دينه . وحفظا لوقته حتى لا يصرفه فى مضيعة .

ولم يكن ذمه للمتكلمين ولكل من سلك مسلكهم . ذما للعلم ولمسائله . وإنما كان ذمه لهم لمنهجهم الجدلى العقلى وبحثهم فى أمور مبتدعة ومسائل شنيعة .

يدل على ذلك ما رواه الحافظ البيهقى رحمه الله تعالى فى مناقب الشافعى بإسناده عن المزنى أنه قال : دار بينى وبين رجل مناظرة . فسألنى عن كلام - إن صح - كاد أن يشككنى فى دينى . فجئت إلى الشافعى . فقلت له : كان من الأمر كيت وكيت .

فقال الشافعى : (هذه مسألة الملحدين . والجواب عنها كيت وكيت) .

قال البيهقى : وهذا يدل على حسن معرفة الشافعى بالكلام فإنه لولا ان الأمر كلك وإلا لما قدر على الجواب عن تلك الشبهة . أ .هـ .

ولم يكن هذا هو رأى الإمام الشافعى وحده . وإنما كان هذا هو رأى أئمة وعلماء السلف من أهل الحديث .

يقول الإمام الغزالى رحمه الله تعالى فى الإحياء [1]:

قال أحمد بن حنبل: لا يفلح صاحب الكلام أبدا. ولا تكاد ترى أحدا نظر فى الكلام إلا وفى قلبه دغل وبالغ فى ذمه حتى هجر الحارث المحاسبى مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتابا فى الرد على المبتدعة وقال له: ويحك ألست تحكى بدعتهم أولا ثم ترد عليهم ألست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكر فى تلك الشبهات فيدعوهم ذلك إلى الرأى والبحث.

وقال أحمد رحمه الله: علماء الكلام زنادقة.

وقال مالك رحمه الله: أرأيت إن جاءه من هو أجدل منه أيدع دينه كل يوم لدين جديد؟ يعنى أن أقوال المتجادلين تتفاوت.

وقال مالك رحمه الله أيضا: لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء.

فقال بعض أصحابه – فى تأويله – أنه أراد بأهل الأهواء أهل الكلام على أى مذهب كانوا.

وقال سفيان: من طلب العلم بالكلام تزندق.

وقال الحسن: لا تجادلوا أهل الأهواء ولا تجالسوهم ولا تسمعوا منهم. وقد اتفق أهل الحديث من السلف على هذا. ولا ينحصر ما نقل عنهم من التشديدات فيه وقالوا: ما سكت عنه الصحابة – مع أنهم أعرف بالحقائق وأفصح بترتيب الألفاظ من غيرهم إلا لعلمهم بما يتولد منه من الشر. ولذلك قال النبى ﷺ: «هلك المتنطعون. هلك المتنطعون. هلك المتنطعون» [2]. أى المتعمقون فى البحث والاستقصاء.

واحتجوا أيضا بأن ذلك لو كان من الدين لكان ذلك أهم ما يأمر به رسول الله ﷺ. ويعلم طريقه ويثنى عليه وعلى أربابه. فقد علمهم الاستنجاء وندبهم إلى علم الفرائض وأثنى عليهم. ونهاهم عن الكلام فى القدر. وقال: أمسكوا عن

---

(١) إحياء علوم الدين ١ / ١٤٤، ١٤٥.　　(٢) رواه مسلم.

القدر . وعلى هذا استمر الصحابة رضى الله عنهم . فالزيادة على الأستاذ طغيان وظلم . وهم الأستاذون والقدوة ونحن الأتباع والتلامذة . أ .هـ.

إن الإمام الشافعى رضى الله عنه . كان كغيره من أئمة السلف الذين كان دأبهم فى الفقه والتفسير والحديث . ولم يكن لعلم الكلام عندهم مكان . لأن ما نزل فى القرآن وما ورد فى السنة فى قضية العقيدة كان فيه الكفاية .

وما روى من أن الشافعى كان يناظر حفصا الفرد المعتزلى أحيانا . فقد كان ذلك بغرض إبطال ما كان يعتقده ويقول به من الأمور البدعية ليعود إلى الحق ويترك ما كان عليه من مقالات المعتزلة .

وكان الشافعى فى هذا يقتدى بأمير المؤمنين : على بن أبى طالب كرم الله وجهه الذى بعث عبد الله بن عباس رضى الله عنهما إلى الخوارج . فكلمهم فقال : ما تنقمون على إمامكم؟ قالوا : قاتل ولم يسب ولم يغنم . فقال : ذلك فى قتال الكفار . أرأيتم لو سبيت عائشة رضى الله عنها فى سهم أحدكم أكنتم تستحلون منها ما تستحلون من ملككم وهى أمكم فى نص الكتاب؟

فقالوا : لا . فرجع منهم إلى الطاعة بمجادلته : ألفان .

وروى أن الحسن رضى الله عنه ناظر قدريا فرجع عن القدر .

وناظر على بن أبى طالب كرم الله وجهه رجلا قدريا .

وناظر عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يزيد بن عميرة فى الإيمان . فقال عبد الله : لو قلت إنى مؤمن لقلت : إنى فى الجنة؟ فقال له يزيد بن عميرة : يا صاحب رسول الله هذه زلة منك وهل الإيمان إلا أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث والميزان وتقيم الصلاة والصوم والزكاة؟ ولنا ذنوب لو نعلم أنها تغفر لنا لعلمنا أننا من أهل الجنة . فمن أجل ذلك نقول : إنا مؤمنون . ولا نقول إنا من أهل الجنة فقال ابن مسعود : صدقت . والله إنها منى زلة .

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى [1] :

---

(١) إعلام الموقعين ١ / ٤٩ .

(وقد تنازع الصحابة فى كثير من مسائل الأحكام . وهم سادات المؤمنين وأكمل الأمة إيمانا . ولكن بحمد الله تعالى لم يتنازعوا فى مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال . بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمة واحدة من أولهم إلى آخرهم . لم يسوموها تأويلا . ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلا ولم يبدلوا الشئ منها إبطالا . ولا ضربوا لها أمثالها . ولم يدفعوا فى صدورها وأعجازها . ولم يقل أحد منهم يجب صرفها عن حقائقها وحملها على مجازها بل تلقوها بالقبول والتسليم وقابلوها بالإيمان والتعظيم وجعلوا الأمر فيها كلها أمرا واحدا . وأجروها على سنن واحد . ولم يفعلوا كما فعل أهل الأهواء والبدع حيث جعلوها عضين وأقروا ببعضها وأنكروا بعضها من غير فرقان مبين مع أن اللازم لهم فيما أنكروه كاللازم فيما أقروا به وأثبتوه) .

وأقول : لقد فتح المتكلمون على اختلاف مذاهبهم بابا من أبواب الشر على الأمة الإسلامية كانت الأمة فى غنى عنه . إنهم فتحوا باب الجدل العقيم الممل الذى لا ترجى منه فائدة غير أنه جر ويلات وويلات على العالم الإسلامى .

فكلهم خالف القرآن والسنة فى كل المسائل أو فى بعضها . وبالذات : مسألة الأسماء والصفات والأفعال . لقد حكَّموا العقل الذى لا ينتج – فى هذا المجال – إلا الرأى العارى من الحقيقة .

فبعضهم أول النصوص المحكم منها والمتشابه . وبعضهم عطل أسماء الله وصفاته وأفعاله . وبعضهم جسَّم وادعى الحد والجهة . فكلهم ما بين مؤول ومعطل ومجسم وكلهم كانوا على خطأ .

والحق كل الحق – كما أعتقد – أن الإيمان بوحدانية الله عز وجل يقتضى توحيد أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى وهو : الإيمان بكل ما ورد فى القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة من صفات الله التى وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ وعدم التعرض لها بشئ من التكييف أو التمثيل أو التشبيه أو التحريف أو التعطيل . واعتقاد أن الله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

قال تعالى : ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾

وقال تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾

نؤمن بذلك على طريقة السلف الصالح رضوان الله عليهم وليس على طريقة أهل الجدل والكلام ولا طريقة دعاة السلفية المعاصرة لأن فيها روح التجسيم والحد والمكانية .

والعلى الكبير منزه عن ذلك كله . لأنه لا يحيط به زمان ولا مكان لأن الكل مخلوق له سبحانه وتعالى . ومن المستحيل أن يحيط المخلوق بالخالق . تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

إن إمامنا الشافعى رضى الله عنه كان سلفى العقيدة قرآنى المنهج . وله بذلك فى صحابة رسول الله ﷺ وآله وصحبه وسلم الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة .

وسوف نعرض رأيه فى أهم قضايا العقيدة لنرى أين يقف الشافعى؟ وكيف كان يعتقد رحمه الله رحمة واسعة .

* * *

(٤) عقيدة الإمام الشافعى

كان الإمام الشافعى رضى الله عنه من أئمة أهل السنة قولا وعملا واعتقادا ينهج فى سلوكه ومعارفه مسلك الصحابة والتابعين والأئمة الأعلام فى أمور العقيدة لذا رفض منهج الجدل والكلام وذم المتكلمين وعاب عليهم طريقتهم. وشنع عليهم فى آرائهم التى تجعلهم فى كل يوم ينتقلون إلى دين جديد.

إن الله سبحانه وتعالى قد ضمن لنا العصمة فى القرآن الكريم وفى السنة الشريفة قال الله تعالى: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** ﴾.

قيل: ما حبل الله يا رسول الله؟ قال: « كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ».

وروى فى الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال:

« تركت فيكم ما لو تمسكتم به فلن تضلوا بعدى أبدا. كتاب الله وسنتى ».

فالكتاب والسنة لم يتركا لأى إنسان مجالا فى أمور العقيدة ليعمل فيه عقله وفكره – والعقول متفاوتة والأفكار متباينة والثقافات متعددة – فلا مجال إذا للعقل لكى يعمل فى أمور العقيدة. والعقيدة غيب. والغيب لا يتكلم عنه إلا الوحى، لذا كان القرآن والسنة حاكمين لمسائل العقيدة جملة وتفصيلا وتلك مقولات للإمام الشافعى رضى الله عنه تكشف لنا عن عقيدته الإيمانية الصافية.

(أ) الإيمان :

الإيمان فى اللغة هو : التصديق.

وعند أهل الشرع هو : التصديق بكل ما جاء به محمد ﷺ من قول أو عمل. (رواه البخارى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما).

فالقول هو : القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

والعمل هو : فعل رسول الله ﷺ وتصرفاته فى مختلف شئونه .

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾

وبهذا المفهوم كانت عقيدة السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين . وحوله كانت تدور عقيدة الإمام الشافعى رضى الله عنه .

فالإيمان – عنده كسائر علماء السلف – قول وعمل إقرار باللسان ويقين بالقلب وتصديق بالأفعال . يزيد وينقص . يزيد بزيادة الأعمال وينقص بنقصانها روى فى الصحيح عن ابن عمرو رضى الله عنهما قال : سألت النبى ﷺ .

هل الإيمان يزيد وينقص يا رسول الله ؟

قال : (نعم . يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار) .

وصدق الله العظيم : **﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾** [الأنفال : ٢–٤]

ويقول الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه : الإيمان قول وعمل يزيد وينقص . والبر كله من الإيمان والمعاصى تنقص من الإيمان .

وحدث الربيع بن سليمان رحمه الله قال : سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول : الإيمان قول وعمل يزيد وينقص .

وحدث أيضا فى مسألة ذكرها فى كتاب السنن : وهكذا إن صلى . فالصلاة من الإيمان ، وحدث أبو عثمان : محمد بن محمد بن إدريس الشافعى – ولد الإمام – قال :

سمعت أبى محمد بن إدريس الشافعى يقول ليلة للحميدى : ما يحتج به عليهم – يعنى على أهل الإرجاء – أحج من قوله عز وجل : ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** ﴾ [البينة : ٥] والمرجئة : طائفة من الفرق الإسلامية كانت تؤمن بأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص لذا وجه الإمام الشافعى . الحميدى لأن يحتج عليهم بهذه الآية التى تثبت أن الإيمان يزيد بزيادة الأعمال .

وروى حرملة – تلميذه – قال : اجتمع حفص الفرد – معتزلى – ومصلان الأنماطى – من الإباضية الخوارج – عند الشافعى بمصر . فتكلما فى الإيمان . فاحتج مصلان فى الزيادة والنقصان . واحتج الفرد فى الإيمان قولا وفعلا على مصلان وقوى عليه . وضعف مصلان، فشق على الشافعى فأخذ المسألة على أن الإيمان قول وعمل . يزيد وينقص . فطحن حفص الفرد وطحنه .

وبهذا ناصر الشافعى مصلان فى كون الأعمال من الإيمان وهو معتقد فرقة الإباضية وروى عن أبى محمد الزبيرى . قال : قال رجل للشافعى : أى الأعمال عند الله أفضل؟

قال الشافعى : ما لا يقبل الله عملا إلا به . قال : وما ذاك؟

قال : الإيمان بالله الذى لا إله إلا هو . أعلى الأعمال درجة وأشرفها منزلة وأسناها حظا . . قال الرجل : ألا تخبرنى عن الإيمان . قول وعمل . أو قول بلا عمل؟

قال الشافعى : الإيمان عمل لله . والقول بعض ذلك العمل .

قال الرجل : صف لى ذلك حتى أفهمه .

قال الشافعى : إن للإيمان حالات ودرجات وطبقات . فمنها التام المنتهى تمامه . والناقص البين نقصانه . والزائد الراجح نقصانه .

قال الرجل : وإن الإيمان ليتم وينقص ويزيد ؟ قال الشافعى :نعم .

قال : وما الدليل على ذلك؟

قال الشافعي : إن الله جل ذكره . فرض الإيمان على جوارح بني آدم فقسمه فيها وفرقه عليها . فليس من جوارحه جارحة إلا وقد وكلت من الإيمان بغير ما وكلت به أختها . بفرض من الله تعالى .

ثم أخذ يبين للرجل في تفصيل وشرح إلى أن قال : ولو كان هذا الإيمان واحدا لا نقصان فيه ولا زيادة . لم يكن لأحد فيه فضل واستوى الناس وبطل التفضيل ولكن بتمام الإيمان . دخل المؤمنون الجنة . وبالزيادة في الإيمان . تفاضل المؤمنون بالدرجات عند الله في الجنة . وبالنقصان من الإيمان دخل المفرطون النار .

وقال الشافعي أيضا : إن الله جل وعز . سابق بين عباده كما سوبق بين الخيل يوم الرهان . ثم إنهم على درجاتهم من سبق عليه . فجعل كل امرئ على درجة سبقه لا ينقصه فيها حقه . ولا يقدم مسبوق على سابق ولا مفضول على فاضل وبذلك فضل أول هذه الأمة على آخرها . ولو لم يكن لمن سبق إلى الإيمان فضل على من أبطأ عنه للحق آخر هذه الأمة أولها .

وقال الإمام أحمد بن حنبل : قد رأيت هذا الجواب عن الإيمان (لأبو عبيد) أبسط من هذا . فإن صحت الحكايتان فيحتمل أن يكون أبو عبيد أخذه من الشافعي ثم زاد في البيان . ويحتمل أن يوافق قول قولا . والله أعلم أ.هـ.

إن الإمام الشافعي رضي الله عنه قد قال في الإيمان بمثل ما كان يعتقده السلف الصالح رضي الله عنهم ويقولون به (الإيمان قول وعمل. يزيد وينقص) .

وقال الإمام البغوي رحمه الله في شرح السنة : اتفقت الصحابة والتابعون فمن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان . وقالوا : إن الإيمان قول وعمل وعقيدة . يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .

وقال الإمام أبو عبيد : القاسم بن سلام رحمه الله تعالى : فالأمر الذي عنيه أهل السنة عندنا ما نص عليه علماؤنا مما اقتصصنا في كتابنا هذا : أن الإيمان بالنية والقول والعمل جميعا وأنه درجات بعضها فوق بعض .

وقال الحافظ: أبو القاسم اللالكائى رحمه الله تعالى: (سياق ما روى عن النبى ﷺ فى أن الإيمان تلفظ باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح) وقد ذكر فى هذا الموضوع روايات كثيرة من الحديث وأقوال الصحابة والتابعين وقال الآجرى فى كتابه: الشريعة: اعلموا رحمنا الله وإياكم أن الذى عليه علماء المسلمين: أن الإيمان واجب على جميع الخلق. وهو تصديق بالقلب. وإقرار باللسان وعمل بالجوارح. ثم اعلموا أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقا. ولا تجزئ معرفة بالقلب ونطق باللسان حتى يكون عمل بالجوارح. فإذا كملت هذه الخصال كان مؤمنا. دل على ذلك الكتاب والسنة وقول علماء المسلمين).

وروى عن شيخ المحدثين والحفاظ. الإمام البخارى رضى الله عنه. أنه قال: (لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم. أن الدين قول وعمل) [فتح البارى ١ / ٤٧].

وقد نقل البغوى والبيهقى وابن عبد البر: الإجماع على أن الإيمان قول وعمل وروى عبد الله بن أحمد بن حنبل رحمهما الله تعالى بسنده عن عبد الرزاق. قال: كان معمر وابن جريج والثورى ومالك وابن عيينة يقولون:

الإيمان قول وعمل. يزيد وينقص. قال عبد الرزاق: وأنا أقول ذلك: الإيمان قول وعمل. يزيد وينقص. فإن خالفته فقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين.

وقال الحافظ اللالكائى رحمه الله تعالى:

قال الشافعى رحمه الله فى كتاب الأم فى باب النية فى الصلاة: نحتج بأنه لا تجزئ صلاة إلا بنية لحديث عمر بن الخطاب عن النبى ﷺ (إنما الأعمال بالنيات .. الحديث) ثم قال: وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن أدركناهم. أن الإيمان: قول وعمل ونية. لا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر أ.هـ.

وحدث الربيع قال: سمعت الشافعى يقول: الإيمان قول وعمل واعتقاد

القلب. ألا ترى قول الله عز وجل: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ يعني صلاتكم إلى بيت المقدس. فسمى الصلاة إيمانا. وهى قول وعمل وعقد [ذكره ابن عبد البر فى الإنتقاء].

وروى أبو نعيم فى حلية الأولياء بسنده عن الربيع بن سليمان قال:

سأل رجل من أهل بلخ الشافعي عن الإيمان. فقال للرجل: فما تقول أنت فيه؟ . . قال: أقول: إن الإيمان. قول. قال: ومن أين قلت؟

قال: من قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ فصار الواو فصلا بين الإيمان والعمل. فالإيمان قول. والأعمال شرائعه.

فقال الشافعي: وعندك الواو فصل؟ قال: نعم. قال: فإذا كنت تعبد إلهين إلها في المشرق وإلها فى المغرب. لأن الله تعالى يقول: ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾ فغضب الرجل وقال: سبحان الله أجعلتنى وثنيا؟

فقال الشافعي: بل أنت جعلت نفسك كذلك. قال: كيف؟ قال: بزعمك أن الواو فصل. فقال الرجل: فإنى أستغفر الله مما قلت. بل لا أعبد إلا ربا واحدا. ولا أقول بعد اليوم: إن الواو. فصل. بل أقول: إن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.

قال الربيع: فأنفق على باب الشافعي مالا عظيما وجمع كتب الشافعي وخرج من مصر سنيا. أ.هـ.

فهذا الذى روى عن الشافعي رضى الله عنه ليس بدعا من القول ولا هذيانا وإنما قول السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

ذكر الآجرى فى الشريعة: أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقول لأصحابه (هلموا نزداد إيمانا فيذكرون الله عز وجل).

وقال ابن عباس وأبو هريرة رضى الله عنهما (الإيمان يزداد وينقص).

وروى فى صحيح البخارى باب زيادة الإيمان ونقصانه وقول الله تعالى:

﴿ وزدناهم هدى ﴾ ﴿ ويزداد الذين آمنوا إيمانا ﴾ ﴿ فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ فإذا ترك شيئا من الكمال . فهو ناقص . أ.هـ.

وخلاصة قول الشافعي رضى الله عنه في الإيمان . ما ذكره في كتابه الفقه الأكبر ونصه : فصل في الإيمان : واعلموا أن الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان . ثم الإيمان أصل وفرع . فأصله . ما إذا تركه العبد كفر كالمعرفة والتصديق . واعتقاد ما يجب اعتقاده من أحكام المكلفين وفرعه : إذا ما تركه العبد لم يكفر ولكن يعصى في ترك البعض كالصلوات المفروضات وغيرها من الواجبات [١].

الاستثناء في الإيمان :

اختلف العلماء حول هذه القضية . جوز ذلك بعضهم . ومنعه آخرون قال الإمام الآجرى في كتابه « الشريعة » [٢] رحمه الله تعالى :

من صفة أهل الحق ممن ذكرنا من أهل العلم : الاستثناء في الإيمان لا على سبيل الشك . نعوذ بالله من الشك في الإيمان . ولكن خوف التزكية لأنفسهم من الاستكمال للإيمان لا يدرى أهو ممن يستحق حقيقة الإيمان أم لا . وذلك أن أهل العلم من أهل الحق إذا سئلوا أمؤمن أنت؟ قال : آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار وأشباه هذا والناطق بهذا والمصدق به بقلبه مؤمن . وإنما الاستثناء في الإيمان لا يدرى أهو ممن يستوجب ما نعت الله عز وجل به المؤمنين من حقيقة الإيمان أم لا .

هذا طريق الصحابة رضى الله عنهم والتابعين لهم بإحسان عندهم أن الاستثناء في الأعمال لا يكون في القول والتصديق بالقلب . وإنما الاستثناء في الأعمال الموجبة لحقيقة الإيمان والناس عندهم على الظاهر مؤمنون به يتوارثون . وبه يتناكحون وبه تجرى أحكام صلة الإسلام أ.هـ.

---

(١) هامش مناقب الشافعي للرازى ص ١٢٢ (٢) ص ١٣٦

إن ما ذكره الآجرى رحمه الله تعالى هو ما قال به سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم والأئمة الأعلام من الفقهاء والمحدثين. رضى الله عنهم أجمعين.

وروى أبو عبيد: القاسم بن سلام رحمه الله تعالى بسنده. أن رجلا قال عند ابن مسعود رضى الله عنه: أنا مؤمن. فقال ابن مسعود: أفأنت من أهل الجنة؟.

فقال: أرجو. فقال ابن مسعود: أفلا وكلت الأولى كما وكلت الأخرى؟

وروى أن الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه قال: «سمعت يحيى بن سعيد يقول: ما أدركت أحدا إلا على الاستثناء».

وهذا مقرر فى كتاب الله عز وجل وفى سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى: ﴿**لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ**﴾ [الفتح: ٢٧].

وروى مسلم فى صحيحه [١] أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال مسلما على أهل القبور «السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون» ويقول الإمام الشافعى رضى الله عنه بجواز الاستثناء فى الإيمان.

قال أبو البقاء الفتوحى الحنبلى رحمه الله تعالى: ويجوز الاستثناء فيه أى فى الإيمان بأن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله. نص على ذلك الإمام أحمد والإمام الشافعى. وحكى عن ابن مسعود رضى الله عنه.

وقد عاب بعض العلماء على الإمام الشافعى القول بجواز الاستثناء فى الإيمان.

يدفع هذا الاعتراض ويرده الإمام الفخر الرازى [٢] رحمه الله تعالى فيقول: عابوا على الشافعى قوله: أنا مؤمن إن شاء الله.

---

(١) صحيح مسلم ١/٢١٨.

(٢) مناقب الشافعى ١٣٧ - ١٣٩ وهو تلخيص لما ذكره الإمام أبو حامد الغزالى فى الإحياء: ١/١٤٤ - ١٤٨.

والجواب: أن هذا القول منقول عن كثير من السلف. قيل للحسن: أمؤمن أنت؟ فقال: إن شاء الله. فقيل له: تستثنى يا أبا سعيد فى الإيمان؟

فقال: أخاف أن أقول: نعم. فيقول الله: كذبت.

وقال إبراهيم: إذا قيل لك: أمؤمن أنت؟ فقل: لا إله إلا الله.

وقال مرة أخرى فقل: أنا لا أشك فى الإيمان. وسؤالك إياى بدعة وقيل لعلقمة: أمؤمن أنت؟ فقال: أرجو إن شاء الله.

وقال سفيان الثورى: من قال: أنا مؤمن عند الله فهو من الكذابين. ومن قال: أنا مؤمن حقا فهو مبتدع - هكذا حكى البيهقى فى هذا الباب عن السلف.

والإشكال فيه: أنه إن كان الرجل جازما بكونه مؤمنا. كان توقفه باطلا لأنه من كان مؤمنا فى نفسه كان مؤمنا عند الله. كما أن من كان طويلا أو شيخا فى نفسه كان عند الله كذلك. وإن كان شاكا فى إيمانه كان غير مؤمن.

وجوابه: إن هذا الاستثناء ليس للشك بل لوجوه أخرى هى:

(أ) إن الإيمان أفضل الصفات. فإذا قال الرجل: أنا مؤمن حقا فقد وصف نفسه بأفضل الصفات. فكان هذا تزكية للنفس. وتزكية النفس مذمومة قال الله تعالى: ﴿ **فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ** ﴾ [النجم: ٣٢] وقال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ** ﴾ [النساء: ٤٩] فالمقصود من قولنا: إن شاء الله هضم النفس وترك تزكيتها.

(ب) المقصود منه التأدب بذكر الله تعالى فى جميع الأمور. قال الله تعالى: ﴿ **وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ** ﴾[الكهف: ٢٣، ٢٤]

ثم لم يقتصر على ذلك فى حق العباد. بل ذكر ذلك فى كلام نفسه فقال:

﴿ **لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ** ﴾ [الفتح: ٢٧] وكان الله تعالى عالما بأنه يدخل لا محالة.

وكان النبى ﷺ إذا دخل المقابر قال: «السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله عن قريب بكم لاحقون».

وهذا اللحوق غير مشكوك فيه. لكن المقصود رعاية الأدب فكذلك ههنا.

(جـ) إنه تعالى شرف قوما بقوله ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٤] والمقصود منه. كونهم كاملين فى نتائج الإيمان وثمراته. فقولنا: أنا مؤمن إن شاء الله. عائد إلى كمال حال الإيمان. وذلك الكمال هو فعل الطاعات والاجتناب عن المحرمات. ويدل عليه قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ١٥]

وقال عليه الصلاة والسلام: «الإيمان بضع وسبعون بابا».

فقولنا: إن شاء الله عائد إلى الشك فى حصول هذه الكمالات.

(د) إن الإيمان عند الشافعى اسم لمجموع الإقرار والاعتقاد والعمل ولا شك أن العمل قد يوجد وقد لا يوجد. فكان المراد بقولنا: إن شاء الله. ليس هو الشك فى الاعتقاد والإقرار بل الشك فى كمال الاعمال. بل من كان مذهبه أن الإيمان هو التصديق بالقلب فقط. لم يجز له أن يقول: إن شاء الله أما الشافعى. فلما كان مذهبه أن الإيمان اسم لمجموع هذه الثلاثة كان الشك قائما فى العمل. فكان الاستثناء حسنا جائزا.

(هـ) أن يكون المراد منه خوف الخاتمة. أى: إن شاء الله أكون مؤمنا فى آخر الحياة. والدليل عليه. قوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام. قال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩] وهو ما كان سقيما فى تلك الحالة. لكنه لما علم أنه سيصير سقيما حسن قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾.

ألا ترى أن الرجلين إذا تصارعا وعلم من حال أحدهما أنه ينصرع. فقد

يقال قبل انصراعه. إنه منصرع وإنه مغلوب. بمعنى أنه سيصير كذلك. فهنا قوله: أنا مؤمن إن شاء الله. أى: أبقى مؤمنا عند الموت إن شاء الله. أ.هـ

ويقول الإمام الشافعى رضى الله عنه فى عبارة موجزة فى الفقه الأكبر ملخصا الكلام عن هذه القضية:

(واعلموا أن قول أهل السنة والجماعة: أنا مؤمن إن شاء الله تعالى. ليس فيه شك فى الإيمان الحاصل الحاضر لهم وإنما الشك فى الإيمان المثاب عليه (العمل) فذلك منوط بالعاقبة – أى الخاتمة – والعاقبة مغيبة عنا فالشك واقع فى المغيب لا فى الحاصل الموجود).

● الإيمان والإسلام:

اختلف الأئمة والعلماء من سلف الأمة: هل الإيمان والإسلام. اسمان لمسمى واحد أم هما متغايران؟ قال بالرأى الأول جماعة. واختار الرأى الثانى جماعة أخرى.

وممن ذهب إلى الأخذ بالرأى الأول: الإمام الشافعى رضى الله عنه والإمام البخارى رضى الله عنه والإمام محمد بن نصر المروزى رضى الله عنه وكثير غيرهم.

ودليلهم قول الله تعالى: ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ٨٥]

وممن ذهب إلى الأخذ بالرأى الثانى: الإمام الزهرى: قال: (الإسلام هو الكلمة والإيمان هو العمل) وقال به أيضا: الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه. وابن منده رحمه الله تعالى.

قال عبد الملك الميمونى: سألت أحمد بن حنبل. أتفرق بين الإيمان والإسلام؟ فقال لى نعم قلت له: بأى شئ تحتج؟ قال لى: قال الله عز وجل:

﴿ **قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا** ﴾[الحجرات: ١٤]

وقال : وأقول : مؤمن إن شاء الله . وأقول : مسلم ولا أستثنى .أ.هـ.

فالإيمان والإسلام اسمان لمسمى واحد عند الإمام الشافعى رضى الله عنه .

قال الزعفرانى : قال أبو عبد الله الشافعى : وفى هذا الحديث والحديث الذى قبله – أى حديث الجارية – الدلالة على وصف الإسلام . إسلام يوجب لصاحبه اسم الإسلام . والإسلام إيمان . قال البيهقى : وفى هذا إشارة من الشافعى رحمه الله إلى أن الإيمان والإسلام اسمان لمسمى واحد . إذا كانا حقيقة أو كانا باللسان دون العقيدة فى حقن الدم . وإنما يفترقان إذا كان أحدهما حقيقة . والآخر بمعنى الإستسلام خوفا من السيف . الله أعلم .

* * *

(٥) التوحيد : (لا إله إلا الله محمد رسول الله)

قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة : ٢٥٥]

وقال تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران : ١٨]

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ [المائدة : ٧٣]

وقال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [سورة الإخلاص]

والآيات الواردة فى هذا الباب كثيرة لا يتسع المجال لسردها ويكفينا هذا القدر، الله سبحانه وتعالى هو الواحد الخالق الرزاق المعبود ولا معبود سواه . وأنه فى ذاته واحد لا شريك له . فرد لا مثيل له . صمد لا ضد له . متفرد لا ندّ له . وأنه واحد قديم لا أوّل له . أزلى لا بداية له مستمر الوجود لا آخر له . أبدى لا نهاية له . قيوم لا انقطاع له دائم لا انصرام له . لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالإنقضاء والانفصال بتصرم الآباد وانقراض الآجال . بل ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد : ٣] .

وللإمام الشافعى رضى الله عنه مناظرة رائعة مع بشر المريسى فى مجلس هارون الرشيد يقيم فيها الدليل على وحدانية الله عز وجل .

روى محمد بن إسماعيل بن الحبال الحميرى عن أبيه قال:

كان محمد بن إدريس الشافعي رجلا شريفا. فذكر الحكاية فى ابتداء تعلمه ورحلته إلى مالك بن أنس. ثم خروجه إلى اليمن. ثم حمله إلى العراق ثم رجوعه ثم حمله إلى العراق مرة أخرى مقيدا. وإجتماعه مع محمد بن الحسن. وبشر المريسى فى مجلس هارون الرشيد قال: فقال له بشر: أخبرنى ما الدليل على أن الله تعالى واحد؟.

فقال الشافعي: يا بشر ما تدرك من لسان الخواص فاكلمك على لسانهم إلا أنه لا بد لى من أن أجيبك على مقدارك من حيث أنت الدليل عليه به ومنه وإليه [1].

واختلاف الاصوات من المصوت إذا كان المحرك واحدا دليل على أنه واحد. وعدم الضد فى الكلام على الدوام دليل على ان لله واحد وأربع نيرات مختلفات فى جسد واحد متفقات الدوام على تركيبه فى استقامة الشكل. دليل على ان الله واحد، وأربع طبائع مختلفات فى الخافقين أضداء غير أشكال مؤلفات على إصلاح الأحوال دليل على ان الله واحد.

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٤]

كل ذلك دليل على ان الله واحد لا شريك له.

فقال له بشر: وما الدليل على أن محمدا رسول الله؟

قال: القرآن المنزل. وإجماع المسلمين عليه. والآيات التى لا تليق بأحد

(١) يقول ابن عطاء السكندرى فى مناجاته (إلهى كيف يستدل عليك من هو فى وجوده محتاج إليك).

غيره – يعنى المعجزات التى ظهرت عليه دون غيره – وتقرير المعلوم فى كون الإيمان بدليل واضح دليل على أن رسول الله ﷺ لا بعده مرسل نقر له.

وذكر باقى الحكاية وفيها: فقال له بشر: ادعيت الإجماع فهل تعرف شيئا أجمع عليه الناس؟ قال: نعم. أجمعوا على أن هذا الحاضر أمير المؤمنين فمن خالفه. قتل فضحك الرشيد وأمر بأخذ القيد عن رجله وخلع عليه وأمر له بخمسين ألف درهم قال البيهقى رحمه الله. وقد أخبرنى به الثقة من أصحابنا أن أبا نعيم أنبأه إجازة له فذكره.

لقد بين هذه الدلائل وفسرها الإمام فخر الدين الرازى رحمه الله تعالى. فقال:

إن الشافعى ذكر أنواعا من الدلائل فيجب علينا أن نفسرها أولا. ثم نبين دلالتهما على الوحدانية ثانيا.

النوع الأول: مما ذكره ه اختلاف الأصوات من المصوت.

اعلم: أن الأعضاء التى هى الآلات فى تكوين الأصوات والحروف. أعضاء مخصوصة. وهى: الحلق والحنجرة واللسان والأسنان والشفتان. ثم إنك ترى جميع الناس مع اشتراكهم فى هذه الآلات مختلفين فى الأصوات حتى أنك لا ترى فى الدنيا إنسانين يتشابه صوتاهما من جميع الوجوه. فلولا أن الصانع القادر الحكيم خصص خلق كل إنسان وحنجرته ولسانه وأسنانه وشفتيه بكيفيات مخصوصة لأجلها صار هو مختصا بذلك الصوت المعين. وإلا لم يحصل ذلك الاختصاص ولا يمكن إضافة تلك الاختصاصات إلى طبيعة النطفة والرحم والطبائع والأفلاك والأنجم. فإن نسبته الكل إلى الكل على السوية. فلم يبق إلا الجزم باستنادها إلى الفاعل المختار كما أنك لا تجد فى الدنيا إنسانين تتشابه صوتاهما. فكذلك لا تجد فى الدنيا إنسانين يتشابه صورتاهما من جميع الوجوه. وذلك أيضا من أعظم الدلائل على الصانع الحكيم، وإلى هذين النوعين من الدلالة الإشارة بقوله تعالى:

﴿ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ﴾ [الروم: ٢٢].

النوع الثاني: قوله: عدم الضد فى الكل على الدوام.

وتفسيره: إن بدن كل إنسان ينتقل من حال إلى حال. مثل: أن يكون صبيا ثم شابا ثم كهلا. ثم شيخا. وأيضا يكون سمينا ثم يصير هزيلا. وبالضد. ويكون حارا ثم يصير باردا وبالضد. ثم إنا نرى الإنسان مع اختلاف هذه الأحوال باقيا على نهجه الأول فى الصوت والصورة. ولو كانت هذه الأحوال معللة بما فيه من الطبائع والأمزجة لوجب اختلافها عند اختلاف أحوال الطبائع والأمزجة.

ولما رأينا أن الصوت والصورة باقيتان مصونتان عن الضد مع اختلاف هذه الأمور. علمنا: أن بقاءهما بسبب أن الفاعل الحكيم المختار يبقيهما على تلك الأحوال والهيئات.

النوع الثالث: قوله: **وأربع نيرات مختلفات فى جسد واحد متفقات على ترتيبه على استقامة الشكل. دليل على أنه واحد.**

وتفسيره: أن فى البدن نيرانا أربعة:

أحدها: نار الشهوة. وهى: الحرارة التى تثور فى بدن الإنسان عند قضاء الشهوة والجماع.

وثانيها: حرارة الغضب. وهى: الحرارة التى تثور عند استيلاء الغضب.

وثالثها: الحرارة القائمة بأعضاء الغذاء وهى: الحرارة الغريزية المؤثرة فى هضم الغذاء.

ورابعها: الحرارة الغريزية المتولدة فى قلبه. وهى: الحرارة المؤثرة التى يتم بها أمر الحياة فهذه الأنواع الأربعة من الحرارة: نيران مختلفة بالماهية. ثم إنها اجتمعت فى بدن الإنسان. وتبقى كل واحدة منها على صفتها المخصوصة وطبيعتها المخصوصة. وهى كامنة فى بدن الإنسان. لا تظهر إلا عند وقت الحاجة إليها. ثم إنها مع اختلافها وتباينها متوافقة متعاونة على تحصيل مصلحة الإنسان. وموجبة لاستقامة سلامة ذلك الجسد.

النوع الرابع: قوله: وأربع طبائع مختلفات فى الخافقين. أضداد غير أشكال مؤلفات على صلاح الأحوال.

وتفسيره: أن أبدان الحيوانات – على قول الأطباء – متولدة من الأرض والماء والهواء والنار. ومن الأخلاط الأربعة. وهى: الصفراء والسوداء والبلغم والدم. ثم إنها أضداد متغايرة – متنافرة. متعاندة بطبائعها فاجتماعها فى البدن الواحد. لا بد وأن يكون بقدرة قادرة. وتدبير مدبر قدير. وما ذلك إلا الصانع الحكيم.

وإذا عرفت تفسير هذه الكلمات. فنقول: إنها دالة على وجود الصانع القديم وكمال قدرته وعلمه وحكمته. وهى أيضا: دالة على كون الصانع واحدا. لأنه لو كان الصانع أكثر من واحد. لما حصل هذا النظام فى المخلوقات. بل كان يحصل الفساد كما قال الله تعالى: ﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا** ﴾

[الأنبياء: ٢٢]

فثبت بما ذكرنا أن الوجوه التى ذكرها الشافعى. دالة على وحدانية الصانع ولمثل هذا التقدير قال تعالى: ﴿ **وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ** ﴾ ثم احتج على وحدانيته بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾ إلى قوله: ﴿ **لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾ [البقرة: ١٦٤]

ومعلوم: أن دلالة هذه الأشياء على صحة قوله تعالى: ﴿ **وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ** ﴾ ليست إلا بطريق الذى ذكرناه.

فثبت أن كلام الشافعى فى هذا الباب على وفق دلائل القرآن من غير تفاوت أصلا، ثم قال الرازى رحمه الله تعالى. وأقول: الدليل على نبوة محمد ﷺ إما القرآن وإما سائر المعجزات.

أما القرآن: فدلالته على نبوة – محمد عليه الصلاة والسلام – موقوفة على مقدمتين:

إحداهما : أن القرآن معجزة فى نفسه . وإليه الإشارة بقول الشافعى : (القرآن المنزل) .

والمقدمة الثانية : كون القرآن مختصا بمحمد – ﷺ – بمعنى أنه ظهر عليه ولم يظهر على غيره . وذلك لا يعلم إلا بالتواتر . وإليه الإشارة بقوله : (وإجماع الناس) .

إذ لا ينبغى أن يظن بالشافعى أنه جعل اتفاق أمة محمد عليه الصلاة والسلام على نبوته دليلا على نبوته . فإن فساد هذا مما لا يخفى على الصبيان فكيف على شيخ العلماء وإمام أهل الدين [1] .

وأما قوله : (والآيات التى لا تليق بأحد غيره) فهو إشارة إلى ما سوى القرآن من المعجزات .

فهذا تفسير هذه الكلمات (القليلة) على ما خطر بالبال والله أعلم بالمراد على سبيل الحقيقة .

وكان الإمام الشافعى – رضى الله عنه – فى هذه الكلمات القليلة أكثر مما ذكره المتكلمون فى الكتب الطويلة . وهذا يدل على أنه كان متقنا فى علم الأصول والله الموفق [2] أ.هـ.

وذكر البيهقى فى مناقب الشافعى رضى الله عنه . قال : قال الشافعى فى تحميد ربه عز وجل قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ** ﴾ [الأنعام : ١]

قال الشافعى : والحمد لله الذى لا يؤدى شكر نعمة من نعمه إلا بنعمة منه توجب على مؤدى ماضى نعمة بادائها . نعمة حادثة يجب عليه شكره بها ولا يبلغ الواصفون كنه عظمته الذى هو كما وصف نفسه وفوق ما يصفه به خلقه .

---

(١) لا يكون الإجماع صحيحا إلا إذا كان مؤسسا على القرآن والسنة . لذا استدل به الشافعى .

(٢) مناقب الإمام الشافعى : ١٠٢ – ١٠٧ .

وأحمده حمدا كما ينبغى لكرم وجهه وعز جلاله وأستعينه استعانة من لا حول له ولا قوة إلا به . وأستهديه بهداه الذى لا يضل من أنعم به عليه وأستغفره لما أزلفت وأخرت . استغفار من يقر بعبوديته ويعلم أنه لا يغفر ذنبه ولا ينجيه منه إلا هو . وأشهد أن لا إله إلا هو وحده لا شريك له . وأن محمدا عبده ورسوله ثم ساق الكلام إلى آخره – مقدمة كتابه (الرسالة) .

ثم قال : وقال فى كتاب (الرسالة القديمة) : وأنا أسأل الله المبتدئ لنا بنعمه قبل استحقاقها . المديمها علينا بإفضاله مع تقصيرنا . الجاعلنا فى خير أمة أخرجت للناس أمة خير خلقه . محمد عبده ورسوله ﷺ . أن يأخذ بأسماعنا وقلوبنا وألسنتنا إلى طاعته . وأن يملك لنا أنفسنا وألسنتنا وجميع جوارحنا عما يخالف طاعته . وأن لا يكلنا إلى أنفسنا . فإنه إن وكلنا إليها وكلنا إلى غير كاف . وأن يحضرنا العصمة والتوفيق . وينطق ألسنتنا بالحق الذى لا تخلطه الشبه ولا تميل به الأهواء . ولا تخونه الغفلات .

وله دعوات حسان قد نقلت أكثرها إلى كتاب الصلاة والحج من كتاب المعرفة [1] وبالله التوفيق والعصمة أ .هـ.

وحكى أبو منصور البغدادى رحمه الله تعالى : أن الإمام الشافعى – رضى الله عنه – أول من صنف فى الرد على البراهمة المنكرين للنبوات .

ونقل البيهقى رحمه الله تعالى : أن الشافعى كان يقول : ما أعطى الله لنبى شيئا . إلا وأعطى محمدا ﷺ ما هو أكثر منه . فقيل له : أعطى عيسى ابن مريم إحياء الموتى فقال الشافعى : حنين الجذع أعظم منه لأن إحياء الخشبة أعظم من إحياء الميت وإذا قيل : إذا كان لموسى عليه السلام فلق البحر . عارضناه بانشقاق القمر وهو أعجب منه لأنه آية سماوية . ولو قيل : عن انفجار الماء من الحجر قلنا : إن نبع الماء من بين أصابع محمد ﷺ أعجب . لأن خروج الماء من الحجر معتاد أما

---

(١) معرفة السنن والآثار للبيهقى

خروجه من اللحم والدم فأعجب . ولو سئلنا عن تسخير الريح لسليمان عليه السلام فإنا نقول : إن رحلة المعراج أعجب .

وقال الشافعي رضى الله عنه فى كتاب الذبائح : (واجب أن نكثر الصلاة على النبى ﷺ . لأن ذكر الله عز وجل والصلاة على النبى ﷺ إيمان بالله وعبادة له) .

وهكذا يقرر الإمام الشافعي رضى الله عنه الدليل على وحدانية الله عز وجل وعلى صحة نبوة سيدنا محمد ﷺ . وهو مقيد بالأغلال . فقد بعث به الوالى على بلاد اليمن مقيدا إلى دار الخلافة ببغداد متهما إياه بأنه يدعو للعلويين فلم تمنعه القيود ولم يرهبه سلطان الخليفة عن مناظرته لبشر المريسى ومحمد بن الحسن – تلميذ أبى حنيفة – وإثباته . أن الله عز وجل واحد لا شريك له وأن محمدا ﷺ عبده ورسوله . ثم أنه يقرر هذه الحقيقة – دائما – فى كتبه ومؤلفاته رضى الله عنه .

* * *

(٦) الأسماء والصفات

إن قضية الأسماء والصفات . هى قضية القضايا ومسألة المسائل . فقد اختلف حولها المتكلمون وتصارعوا – السلف والخلف – فالبعض أعمل فيها العقل وحده دون النص . فانحرف بذلك عن طريق الجادة . وكان للسلف الصالح رضى الله عنهم قصب السبق فى هذا الأمر . وأما المتكلمون فقد تاثروا كثيرا فى تناولها بالأفكار الفلسفية . وظهر على السطح المجسمة الذين قالوا على الله قولا بغير علم . فكانوا فى مواجهة مريرة مع علماء الأمة المخلصين كابن الجوزى رحمه الله تعالى الذى فند مقولاتهم ورد عليهم بلا هوادة فى كتابه القيم : (رفع شبه التشبيه باكف التنزيه) الذى أثبت فيه بطلان فهمهم للآيات التى يستدلون بها . ثم كر على الأحاديث التى يستدلون بها فأوردها الواحد تلو الآخر مبينا عدم جواز الاستدلال بها لضعف أكثرها وبعضها من الموضوعات . ثم قرر أن هذه الأحاديث لا تنهض مثيلاتها فى الدرجة أن تكون دليلا على الوضوء والسواك فكيف بها تكون دليلا على العقيدة .

وامتداداً لفكر هؤلاء المجسمة من علماء الحنابلة . فقد تأثر به دعاة السلفية المعاصرة فإنهم يقولون بمثل ما قال أسلافهم لكن بأسلوب مختلف يوهمون به العامة أنهم دعاة لعودة الأمة إلى منهج السلف . وهو الذى يعرضونه عليهم .

يقول ابن الجوزى : ورأيت من أصحابنا – الحنابلة – من تكلم فى الأصول بما لا يصلح . وانتدب للتصنيف ثلاثة : أبو عبد الله بن حامد وصاحبه القاضى – أبو يعلى – وابن الزاغونى فصنفوا كتبا شانوا بها المذهب ، ورأيتهم قد نزلوا إلى مرتبة العوام . فحملوا الصفات على مقتضى الحس . فسمعوا أن الله تعالى خلق آدم على صورته . فأثبتوا له صورة ووجها زائدا على الذات . وعينين وفما ولهوات وأضراسا وأضواء لوجهه هى السبحات ويدين وأصابع وكفا وخنصرا وإبهاما وصدرا وفخذا وساقين ورجلين .

وقالوا: ما سمعنا بذكر الرأس.

وقالوا: يجوز أن يَمس ويُمس. ويدنى العبد من ذاته.

وقال بعضهم: ويتنفس.

ثم يرضون العوام بقولهم: لا كما يُعقل.

وقد أخذوا بالظاهر فى الأسماء والصفات. فسموها بالصفات تسمية مبتدعة لا دليل لهم فى ذلك من النقل ولا من العقل. ولم يلتفتوا إلى النصوص الصارفة عن الظواهر إلى المعانى الواجبة لله تعالى ولا إلى إلغاء ما يوجبه الظاهر من سمات الحدوث. ولم يقنعوا بأن يقولوا صفة فعل. حتى قالوا: صفة ذات. ثم لما أثبتوا أنها صفات ذات قالوا: لا نحملها على توجيه اللغة مثل: يد على نعمة وقدرة. ومجئ وإتيان على معنى بر ولطف. وساق على شدة بل قالوا: نحملها على ظواهرها المتعارفة. والظاهر هو المعهود من نعوت الآدميين. والشئ إنما يحمل على حقيقته إذا أمكن. ثم يتحرجون من التشبيه ويأنفون من إضافته إليهم ويقولون: نحن أهل السنة. وكلامهم صريح فى التشبيه وقد تبعهم خلق من العوام [1] .أ.هـ.

هذا وقد ندم ابن خزيمة على تأليفه كتاب (التوحيد) كما جاء عنه بإسنادين فى كتاب الأسماء والصفات للبيهقى (ص ٢٦٧ بتحقيق المحدث الكوثرى) ورغم هذا يصر سلفية هذا العصر على طبع هذا الكتاب مرات. وكذا كتاب (السنة) المنسوب إلى عبد الله بن أحمد بن حنبل، وأنا أعتقد أن هذا الكتاب دس عليه، وفى كتاب: (الجمع بين صحيح المنقول وصريح المعقول) ترى خداع عوام المسلمين. فقد أثبت فيه قدم العالم وأثبت لله عز وجل الحركة كما أثبت له الحد والجهة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. ويقولون خداعا: نحن نؤمن بهذه الآيات على ظاهرها من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف ولا تأويل. فكيف يكون هذا. والظاهر معلوم.

---

(١) رفع شبه التشبيه: ٩٧ - ١٠١ . وأنصح المسلمين بقراءة هذا الكتاب بتحقيق الشيخ حسن السقاف جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيرا.

وقد انبرى كثير من العلماء الأفاضل لرد هذه الخزعبلات والبدع المنكرات. ولله الحمد والمنة.

وأما عقيدة سلف الأمة فيذكرها الإمام أبو حامد الغزالى رحمه الله تعالى فى هذه الدرر فيقول: وأنه - سبحانه وتعالى - ليس بجسم مصور. ولا جوهر محدود ومقدر. وأنه لا يماثل الأجسام ولا فى التقدير ولا فى قبول الانقسام. وأنه ليس بجوهر ولا بعرض ولا تحله الأعراض بل لا يماثل موجودا ولا يماثله موجود ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ولا هو مثل شئ وأنه لا يحده المقدار. ولا تحويه الأقطار. ولا تحيط به الجهات. ولا تكتنفه الأرضون ولا السموات وأنه مستو على العرش على الوجه الذى قاله وبالمعنى الذى أراده. استواء منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال. لا يحمله العرش. بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون فى قبضته. وهو فوق العرش والسماء وفوق كل شئ إلى تخوم الثرى. فوقية لا تزيده قربا إلى العرش والسماء كما لا تزيده بعدا عن الأرض والثرى. بل هو رفيع الدرجات عن العرش والسماء كما أنه رفيع الدرجات عن الأرض والثرى. وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سبأ: ٤٧] إذ لا يماثل قربه قرب الأجسام كما لا تماثل ذاته الأجسام وأنه لا يحل فى شئ ولا يحل فيه شئ. تعالى أن يحويه مكان. كما تقدس عن أن يحده زمان بل كان قبل أن خلق الزمان والمكان وهو الآن على ما كان عليه. وأنه بائن عن خلقه بصفاته ليس فى ذاته سواه. ولا فى سواه ذاته. وأنه مقدس عن التغير والانتقال لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض بل لا يزال فى نعوت جلاله منزها عن الزوال وفى صفات كما له مستغنيا عن زيادة الاستكمال. وأنه فى ذاته معلوم الوجود. بالعقول مرئى الذات بالأبصار نعمة منه ولطفا بالأبرار فى دار القرار وإتماما منه للنعيم بالنظر إلى وجهه الكريم [١]. أ.هـ

---

(١) الإحياء ١/١٠٨.

وقد تكلم إمامنا الشافعى رضى الله عنه فى هذه المسألة بمثل ما ذكره السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان رضى الله عنهم فقال فى كتابه (الفقه الأكبر) :

(وهذه صفات أزلية موجودة بذاته . يعنى : ليست بعرض حادثة ولا محدثة لم يزل ولا يزال بهذه الصفات ولا يشبه شئ منها شيئا من صفات المخلوقات . كما لا تشبه ذاته . ذات المخلوقين) . يقول الفخر الرازى شارحا ومفسرا [١] : اعلم أن الصفات : إما صفات الجلال وإما صفات الإكرام .

أما صفات الجلال : فالمراد منها . تنزيهه تعالى عن الجسمية والجوهرية والمكان وذكر الشافعى فى خطبة كتاب (الرسالة) أنه لا يبلغ الواصفون كنه عظمته . وأنه كما وصف نفسه وفوق ما يصفه به خلقه .

وهذا الكلام يدل على أنه كان يعتقد أنه تعالى ليس بجسم ولا فى جهة وإلا لبلغ الواصفون كنه عظمته . وهذا القدر . وإن كان كلاما قليلا إلا أنه كاف فى الغرض كما أن قوله تعالى (ليس كمثله شئ) كاف فى هذا الغرض .

وأما صفات الإكرام : فالمراد منها كونه تعالى قادرا عالما حيًّا .

واعلم أنه ذكر فى كتاب (الإيمان) (أن من حلف بشئ غير الله تعالى فلا كفارة عليه . كما إذا قال : والكعبة ورأس فلان) .

ثم قال : (من حلف بعلم الله وبقدرة الله وبحق الله . فإن أراد بعلم الله معلومه وبقدرة الله : مقدوره . وبحقه : ما وجب له تعالى على العباد . فهذا لا يوجب الكفارة لأن هذا حلف بغير الله تعالى . وإن أراد به الحلف بصفات الله فهذا يوجب الكفارة) .

قال الأصحاب : وهذا يدل على أن صفات الله تعالى عنده ليست أغيارا لذاته لأنه لما زعم أن الحلف بغير الله لا يوجب الكفارة . وزعم أن الحلف بصفات

---

(١) مناقب الإمام الشافعى : ١٠٨ ، ١٠٩ .

الله يوجب الكفارة . كان هذا دليلا على أنه يعتقد أن صفات الله تعالى : ليست أغيارا لذاته .

فإن قيل : فلعله كان يعتقد أن صفات الله عز وجل هى عين ذاته .

قلنا : هذا باطل فى بديهة العقل . لأن وصف الشئ بعين ذاته محال فى العقول ووصفه تعالى بأنه عالم قادر غير ممتنع فى العقول . فهذا يدل على أن هذه الأوصاف ليست غير ذاته ولا عين ذاته . أ.هـ.

وروى البيهقى فى المناقب قال : حدث يونس بن عبد الأعلى قال : سمعت الشافعى رحمه الله يقول : (إذا سمعت الرجل يقول : الإسم غير المسمى فاشهد عليه بالزندقة) .

وروى البيهقى فى الإعتقاد . قال ابن عبد الأعلى قال : قال الشيخ : وقد قال الشافعى فى كتاب «الإيمان» ما دل على أنه لا يقال فى أسماء الله تعالى : إنها أغيار .

وروى فى كتاب «طرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الأكوان [1]» : قال الإمام الأجل أبو عبد الله الشافعى رضى الله عنه . (آمنت بما جاء عن الله على مراد الله . وبما جاء عن رسول الله ﷺ على مراد رسول الله) .

يعنى رضى الله عنه لا على ما تفهم العامة من المعانى الحسية الجسمية .

هذا وقد افترى صاحب كتاب «مختصر العلو» على الإمام الشافعى رضى الله عنه . فقد ذكر فى كتابه المشئوم ما يلى :

روى شيخ الإسلام أبو الحسن الهكارى . والحافظ أبو محمد المقدسى بإسنادهما إلى أبى ثور وأبى شعيب كلاهما عن الإمام محمد بن إدريس الشافعى أنه قال :

(القول فى السنة التى أنا عليها . ورأيت أصحابنا عليها أهل الحديث الذين

---

(١) ص ٢٣ والكتاب تاليف الشيخ سلامه العزامى .

رأيتهم وأخذت عنهم مثل سفيان ومالك وغيرهما . الإقرار بالشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . وأن الله تعالى على عرشه فى سمائه يقرب من خلقه كيف شاء . وأن الله ينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء .. وذكر سائر الاعتقاد) [1] أ.هـ.

وهذا افتراء وكذب على الإمام الشافعى رضى الله عنه . وهذا الكلام مدسوس عليه . دسه المجسمة المشبهة . وقد تبين كذبهم مما يلى :

(١) أما الملقب بشيخ الإسلام : أبى الحسن الهكارى فهو أحد الكذابين الوضاعين . كما قال الحافظ الذهبى فى (ميزان الاعتدال ٣ / ١١٢) قال : أبو القاسم بن عساكر : لم يكن موثوقا به وقال عنه ابن النجار : متهم بوضع الحديث وتركيب الأسانيد أ.هـ.

وقال عنه الحافظ ابن حجر فى (لسان الميزان ٤ / ١٩٥) : وكان الغالب على حديثه الغرائب والمنكرات ، وفى حديثه أشياء موضوعة . ورأيت بخط بعض أصحاب الحديث أنه كان يضع الحديث بأصبهان . أ.هـ.

[ولم يمجده أحد إلا الشيخ ابن تيمية رحمه الله فى رسالته المسماة « الوصية الكبرى فى العقيدة والدعوة » ووصفه بشيخ الإسلام] .

وأما أبو محمد المقدسى : فهو ممن أباح العلماء دمه . كونه مجسما صرفا كما ذكر أبو شامة المقدسى الدمشقى فى كتاب « الذيل على الروضتين » .

وأما أبو شعيب . الذى زعموا أنه روى تلك العقيدة عن الإمام الشافعى رضى الله عنه . فأمره مضحك . لأن أبا شعيب هذا قد ولد بعد وفاة الإمام الشافعى بسنتين . كما ذكر فى تاريخ بغداد (٩ / ٤٣٦) .

فهذه العقيدة المروية عن الإمام الشافعى . مدسوسة عليه كما ذكر الذهبى فى « الميزان » ونقل ابن حجر فى « لسان الميزان ٥ / ٣٠١ » عن الذهبى قال :

---

(١) مختصر العلو : ص ١٧٦ .

(أدخلوا عليه أشياء فحدث بها بسلامة باطن . منها حديث موضوع فى فضل ليلة عاشوراء ومنها عقيدة للشافعى . . .) أ.هـ.

فهؤلاء هم مجسمة الحنابلة فى الماضى وفى الحاضر .

فأما المعاصرون منهم . قد دفعهم التنطع فى الدين والقول على الله تعالى بغير علم . أن كذبوا على الأئمة وزيفوا مقولاتهم :

لقد رد الإمام مالك رضى الله عنه على السائل عن معنى : الاستواء .

فقال : (الاستواء معلوم والكيف غير معقول والإيمان به واجب . والسؤال عنه بدعة) فبدلوا عبارة (والكيف غير معقول) بقولهم (والكيف مجهول) لتتمشى مع عقيدتهم .

ولكن عبارة (والكيف غير معقول) هى ما نقل عن الإمام مالك كما ذكر ابن حجر فى الفتح (١٣ / ٤٠٦ ، ٤٠٧) ولقد طبعوا كتاب « الإبانة » للإمام أبو الحسن الأشعرى رحمه الله مرارا مدعين أنه آخر ما صنف فى موضوعه . وهذا غير صحيح . وقد حذفوا منه قطعة كبيرة من كلام الأشعرى .

ولكن الكتاب قد حققته الدكتورة فوقية حسين على أربع نسخ خطية وطبعة (دار الأنصار) فكان مما حذفه منه المجسمة ما نصه :

(وأن الله تعالى استوى على العرش على الوجه الذى قاله وبالمعنى الذى أراده . استواء منزها عن المماسة والاستقرار . والتمكن والحلول والانتقال . لا يحمله العرش . بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون فى قبضته . وهو فوق العرش وفوق كل شئ إلى تخوم الثرى فوقية لا تزيده قربا إلى العرش والسماء . بل هو رفيع الدرجات عن العرش كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى . وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد وهو على كل شئ شهيد) [الإبانة ص ٢١] .

فهذه القطعة محذوفة من طبعات السلفيين المعاصرين فهل هذا من الأمانة

العلمية؟ فالشافعى رضى الله عنه كان كغيره من السلف الصالح رضى الله عنهم. فهم كانوا إما مؤولة أو مفوضة لكل نص أوهم ظاهرة التشبيه أو التجسيم.

يقول اللقانى الأشعرى فى الجوهرة:

وكل نص أوهم التشبيها أوّله أو فوض ورم تنزيها

وسئل الإمام مالك رضى الله عنه عن أحاديث الصفات. فقال: (أمروها كما جاءت بلا تفسير) ويقول ابن دقيق العيد فى العقيدة: نقول فى الصفات المشكلة إنها حق وصدق على المعنى الذى أراده الله. ومن تأولها. نظرنا. فإن كان تأويله قريبا على مقتضى لسان العرب لم ننكر عليه. وإن كان بعيدا. توقفنا عنه. ورجعنا إلى التصديق مع التنزيه. أ.هـ.

ويقول مولانا محمد على [1]: قبل أن نتحدث عن الصفات الإلهية. أود أن أحذر القارئ من تصور خاطئ عن طبيعة الصفات الإلهية. فقد تحدث القرآن. عن الله باعتباره السميع البصير وغير ذلك من الصفات، ولكن استخدام هذه الكلمات لا يجب أن يعطينا انطباع التشبيه بالذات الإلهية.

فقد ذكر الله (تعالى) أنه فوق كل تصور مادى ﴿ **لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ** ﴾ [الأنعام: ١٠٣] وهو ليس فقط فوق الحدود المادية ولكنه يتخطى أيضا حدود المجاز ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ [الشورى: ١١] فلكى ندل على محبته أو قوته أو أى صفة أخرى فنحن نستخدم نفس الكلمات التى تستخدم فى هذا السياق عادة. ولكن التصور ليس هو نفس التصور. فعندما نقول: إن الله بصير. فهذا لا يعنى: أن له أعينا مثل أعيننا. أو هو فى حاجة إلى ضوء لكى يرى الأشياء كما نفعل نحن. وعندما نقول: إن الله سميع. فهذا لا يعنى أن له أذنين مثلنا أو هو فى حاجة إلى مجال جوى يسرى فيه الصوت. وعندما نقول: إنه خالق فهذا لا يعنى أن له يدا مثل أيدينا. وأنه فى حاجة إلى مواد يصنع منها. وشبيه بهذا باقى الصفات.

---

(١) دين الإسلام: ١٢٠ – ١٢٢.

وحتى يد الله التى تحدث عنها القرآن . [المائدة : ٦٤] [١] فهو تعبير عن قدرته غير المحدودة فى تنزيل فضله على العالمين . فكلمة (يد) تستخدم مجازيا بمعنى النعمة . لذلك تقول الآية [٢٣٧ من سورة البقرة] ﴿ **الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ** ﴾ فكلمة : يدهنا تستخدم . ويقول صاحب النهاية : إن كلمة يد تعنى : حفظ . وتعنى : دفاع . وتأييدا لهذا اقتبس الحديث الذى يقول عن يأجوج ومأجوج « لا يدا لأحد بقتالهم » وتعنى أنه ليس لأحد القوة لقتالهم وكلمة (يد) فى الآية السابقة تعنى : النعمة .

وهناك سوء فهم أشد عند ما يذكر معنى (كشف عن الساق) وهنا تجد جهلا كبيرا باللغة العربية الذى يجعل الناس يترجمون هذه العبارة بمعناها الحرفى . وقد وردت فى القرآن مرتين . مرة فيما يختص بملكة سبأ [النمل : ٤٤] [٢] واستخدمت مرة أخرى دون دلالة على الموضوع [القلم : ٤٢] [٣] ولكنها لم تستخدم أبدا فيما يتصل بالله . وكلمة (ساق) تستخدم هنا بمعنى مختلف . وهو : الصعوبة أو الألم وهذا التعبير يفيد أن يستعد الإنسان لمواجهة المصاعب .

العرش : عرش الله لا يفيد مكانا محددا، بل يمثل سيطرته على الأشياء . وذلك مثل عرش الملك يرمز إلى سلطته وقوته، وعرش الله شئ لا يعرفه الناس حقيقة، ولكنهم يعرفونه باسمه . وهو يدل على القوة والسلطة والسيطرة . وعبارة (استوى على العرش) تذكر دائما كلما ذكرت كلمة عرش، والإشارة هنا تكون بعد ذكر خلق السموات والأرض، وعلاقة هذا بسيطرة الله على الخلق، والقانون والنظام اللذان يسير عليهما الكون . وكلمة (استوى) عندما تأتى بعدها (على)

---

(١) الآية ٦٤ من المائدة : ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ** ... الآية ﴾ .

(٢) قال تعالى : ﴿ **فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا** ﴾ .

(٣) قال تعالى : ﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ** ﴾ .

تفيد سيطرته على الأشياء أو صعوده فوقها، ولم يذكر القرآن أبدا أن الله جلس على العرش. إنها دائما قوته المسيطرة التى تذكر فى هذا السياق.

ويثور سوء فهم آخر يتعلق بكلمة (كرسى) والذى يفترض البعض أنه شئ مادى ملموس. ولا يوجد من نرجع إليه مثل ابن عباس (رضى الله عنهما) ليشرح لنا كلمة (كرسى) فيقول: إنها: العلم. لذلك فإن كلمتى (عرش) وكرسى. تشيران إلى سيطرة الله (تعالى) وعلمه.

اسم الله: (الله) هو اسم الذات. للذات الإلهية. وبهذا يتميز هذا الإسم عن باقى الأسماء التى هى (أسماء الصفات) ويعرف اسم (الله) بأنه الإسم الأعظم.

وهكذا فإنه يتضمن كل المعانى الواردة فى أسماء الصفات. واسم (الله) باعتباره اسم علم. فهو اسم جامد. أى لا يشتق منه كلمة أخرى.

وهكذا فليس لها علاقة بكلمة (إله). وأحيانا يقال: أن كلمة (الله) هى اختصار لكلمة (الإله) وهذا: خطأ. لأنه إذا كان حرف الألف وحرف اللام فى (الله) مجرد مقطع فإن صيغة « يا الله » سوف تكون غير مسموح بها رغم أنها صحيحة مثل « يا الرحمن » وأكثر من هذا. فإن هذا الفرض يعنى أن هناك: آلهة مختلفة. لأن كلمة إله مفرد، جمعها: آلهة، وإحداهما اختصرت إلى كلمة (الله). وهذا ضد الحقيقة لأن (الله) هى اسم الذات السرمدية، وكلمة (الله) لم تستخدم مع أى شئ سوى الذات الإلهية. وكان عند العرب كثير من الآلهة. لا واحدا فيها اسمه: الله. بينما القوة العليا التى فوق كل هذا تعرف باسم الله خالق هذا الوجود. أ.هـ.

قال جابر بن زيد: سئل ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ فقال: ارتفع ذكره وثناؤه على خلقه لا على ما قال المنددون أن له أشباها وأندادا تعالى الله عن ذلك [1].

---

(١) فتح البارى ١ /٥٠٨.

وقال جابر بن زيد حدثنا أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال :

(يوشك الشرك أن ينتقل من ربع إلى ربع ومن قبيلة إلى قبيلة . قيل : يا رسول الله . وما ذاك الشرك؟ قال : (قوم يأتون بعدكم يحدون الله حدا بالصفة) [1].

وصدق الله العظيم قال : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران : ٧]

صفة الكلام ومشكلة القرآن :

قال الله تعالى : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾، ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ﴾ .

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾، ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ .

وروى البيهقى فى « الأسماء والصفات » بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن موسى عليه السلام قال : يا رب أرنا الذى أخرجنا ونفسه من الجنة . فأراه الله عز وجل آدم عليه السلام . فقال : أنت أبونا آدم؟ فقال له آدم : نعم . قال : أنت الذى نفخ الله فيك من روحه وعلمك الأسماء كلها وأمر الملائكة فسجدوا لك؟ قال : نعم . قال : فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة . قال له آدم : ومن أنت؟ قال : أنا موسى . قال : أنت موسى بنى إسرائيل الذى كلمك الله من وراء حجاب لم يجعل الله بينك وبينه رسولا من

---

(١) فتح البارى ١ /٥٠٨ .

خلقه؟ قال: نعم. قال: فما وجدت أن ذلك كان في كتاب الله عز وجل قبل أن أخلق؟ قال: نعم. قال: فبم تلومني في شئ سبق من الله عز وجل فيه القضاء قبلي؟.

قال رسول الله ﷺ عند ذلك «فحج آدم موسى. فحج آدم موسى».

قال الشيخ زاهد الكوثري رحمه الله تعالى [1] معلقا على قوله: (أنت موسى بني إسرائيل الذي كلمك الله من وراء حجاب): وفي شرح المقاصد: اختصاص موسى عليه السلام بأنه كليم الله تعالى. فيه أوجه:

(أحدها): وهو اختيار الغزالي – أنه سمع كلامه الأزلي بلا صوت ولا حرف. كما ترى في الآخرة ذاته بلا كم ولا كيف. وهذا على مذهب من يجوز تعلق الرؤية والسماع بكل موجود حتى الذات والصفات. ولكن سماع غير الصوت والحرف لا يكون إلا بطريق خرق العادة.

(وثانيها): أنه سمعه بصوت من جميع الجهات على خلاف ما هو العادة.

(وثالثها): أنه سمع من جهة لكن بصوت غير مكتسب للعباد على ما هو شأن سماعنا.

وحاصله أنه أكرم موسى عليه السلام فافهمه كلامه بصوت تولى بخلقه من غير كسب لأحد من خلقه. وإلى هذا ذهب أبو منصور الماتريدي (شيخ طائفة الماتريدية من أهل السنة) وأبو إسحاق الاسفراييني – شافعي أشعري –

وقال الاسفراييني: اتفقوا على أنه لا يمكن سماع غير الصوت إلا أن منهم من بت القول بذلك. ومنهم من قال: لما كان المعنى القائم بالنفس معلوما بواسطة سماع الصوت كان مسموعا فالاختلاف لفظي لا معنوي أ.هـ.

ثم يقول: والصوت سواء كان من جهة أو الجهات كلها. حادث مخلوق لا يقوم بالله سبحانه وفي طبقات الحنابلة لأبي الحسين بن أبي يعلى – شيخ المجسمة

---

(١) هامش الأسماء والصفات للبيهقي ص: ١٩٣، ١٩٤.

– عند ترجمة أبى العباس الاصطخرى فى صدد ذكر عقيدة أحمد (. . . وكلم الله موسى تكليما من فيه . وتأوله التوراة من يده إلى يده) .

ومن هذا يعلم مبلغ ضلال هؤلاء المجسمة المتسترين بالانتساب إليه زورا . وحاش الله أن يكون الإمام أحمد : يثبت لله فمًا وما إلى ذلك من وجوه الضلال فى العقيدة المعزوة إليه هناك . انتهى الكوثرى .

وروى البيهقى [1] بسنده عن يونس بن يزيد قال : سمعت الزهرى حين سئل عن قول الله عز وجل ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ** ﴾ قال : نزلت هذه الآية تعم من أوحى الله إليه من النبيين قال : فالكلام : كلام الله تعالى الذى كلم به موسى من وراء حجاب . والوحى : ما يوحى الله به إلى النبى من أنبيائه فيثبت الله تعالى ما أراد من وحيه فى قلب النبى فيتكلم به النبى عليه الصلاة والسلام ويبينه . وهو كلام الله ووحيه . ومنه ما يكون بين الله ورسله . لا يكلم به أحد من الأنبياء أحدا من الناس . ولكنه سر غيب بين الله ورسله . ومنه ما يتكلم به الأنبياء ولا يكتبونه لأحد ولا يأمرون بكتابته . ولكنهم يحدثون به الناس حديثا ويبينون لهم أن الله تعالى أمرهم أن يبينوه للناس ويبلغوهم . ومن الوحى ما يرسل الله به من يشاء فيوحون به وحيا فى قلوب من يشاء من رسله . أ . هـ .

والقرآن الكريم كلام الله عز وجل القديم غير مخلوق . روى أبو يحيى الساجى إجازة قال : سمعت أبا سعيد المصرى يقول : سمعت محمد بن إدريس الشافعى يقول . القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق .

وروى ابن خزيمة قال : سمعت الربيع يقول :

لما كلم الشافعى رحمه الله حفص الفرد . فقال حفص : القرآن مخلوق .

قال الشافعى : كفرتَ بالله العظيم .

---

(١) الأسماء والصفات : ١٩٦ ، ١٩٧ .

وعن أبى محمد الزبيرى قال: قال رجل للشافعى: أخبرنى عن القرآن خالق هو؟

قال الشافعى: اللهم لا. قال: فمخلوق؟ قال الشافعى: اللهم لا

قال: فغير مخلوق؟ قال الشافعى: اللهم نعم، قال: فما الدليل على أنه غير مخلوق؟ فرفع الشافعى رأسه وقال: تقر بأن القرآن كلام الله؟ قال: نعم.

قال الشافعى: سبقت فى هذه الكلمة قال الله تعالى ذكره: ﴿ **وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ** ﴾ [التوبة: ٦].

وقال: ﴿ **وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا** ﴾ [النساء: ١٦٤]

قال الشافعى: فتقر بأن الله كان. وكان كلامه. أو كان الله ولم يكن كلامه؟.

فقال الرجل: بل كان الله وكان كلامه. قال: فتبسم الشافعى. وقال: يا كوفيون: إنكم لتأتونى بتعظيم من القول إذا كنتم تقرون بأن الله كان قبل القبل، وكان كلامه، فمن أين لكم الكلام. إن الكلام الله، أو سوى الله. أو غير الله. أو دون الله؟.

قال: فسكت الرجل وخرج.

وأخبر أبو عبد الرحمن السلمى. أن محمد بن إسماعيل الأصبهانى حدث بمكة فقال: سمعت الجارودى يقول: ذكر الشافعىُّ. إبراهيم بن إسماعيل بن عُليَّه. فقال: أنا مخالف له فى كل شئ وفى قوله: لا إله إلا الله. لست أقول كما يقول. أنا أقول لا إله إلا الله الذى كلم موسى من وراء حجاب. وذلك يقول: الذى خلق كلاما أسمعه موسى من وراء حجاب. أ.هـ.

وقال الإمام الشافعى فى كتابه «الفقه الأكبر» ما نصه:

إن كلام البارى – سبحانه – قديم أزلى موجود بذاته ليس بمخلوق ولا محدث. ومن قال: إنه مخلوق. فهو كافر لا محالة. وهو مكتوب فى مصاحفنا.

محفوظ فى قلوبنا. مقروء بالسنتنا متلو فى محاربنا. مسموع بأسماعنا. ليس بكتابة ولا حفظ ولا قراءة ولا تلاوة ولا سمع لأن ذلك محدث عن عدم. وكلام الله قديم. كما أن البارى – سبحانه – مكتوب فى كتبنا معلوم فى قلوبنا. مذكور بالسنتنا وليس ذات البارى – سبحانه – كتابة ولا ذكرا .أ.هـ .

وروى البيهقى [1] عن على بن سهل الرملى أنه قال: سألت الشافعى عن القرآن. فقال: كلام الله تعالى منزل غير مخلوق. قلت: فمن قال: بالمخلوق. فما هو عندك؟

قال لى: كافر. قال: وقال الشافعى رضى الله عنه: ما لقيت أحدا منهم – يعنى أساتذته – إلا قال: من قال فى القرآن. إنه مخلوق. فهو كافر.

وروى البيهقى أيضا أن البويطى– تلميذ الشافعى وخليفته فى الدرس – يقول: من قال القرآن مخلوق فهو كافر. قال الله عز وجل ﴿ **إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾ فأخبر الله عز وجل أنه يخلق الخلق: بكن – فمن زعم أن (كن) مخلوق. فقد زعم أن الله تعالى يخلق الخلق بخلق .أ.هـ.

إن ما قاله الشافعى رضى الله عنه فى هذا الأمر سبقه فى القول به الصحابة الكرام رضى الله عنهم مما يدل على أنه كان يقف على أرض صلبة وهو ينهج نهج الصحابة والتابعين.

روى البيهقى عن مسروق عن عبد الله – ابن مسعود رضى الله عنه قال: (إن القرآن كلام الله تعالى فمن كذب على القرآن فإنما يكذب على الله عز وجل).

وروى أيضا: عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله عز وجل ﴿ **قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ** ﴾ [الزمر:٢٨٧]

---

(١) الأسماء والصفات: ٢٥١، ٢٥٢ .

– أقوال الصحابة وعلماء التابعين رواها البيهقى فى كتابه «الأسماء والصفات: ٢٣٩– ٢٥٨ .

قال : (غير مخلوق) .

وروى عن عكرمة قال : حمل ابن عباس رضى الله عنهما . جنازة . فلما وضع الميت فى قبره . قال له رجل : اللهم رب القرآن . اغفر له . فقال له ابن عباس رضى الله عنهما (مه لا تقل مثل هذا منه بدأ ومنه يعود) وفى رواية (ثكلتك أمك . إن القرآن منه) .

وروى أيضا : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه (القرآن كلام الله) .

وروى أيضا : أن الفرح بن يزيد الكلاعى قال : قالوا لعلى رضى الله عنه : حكمت كافرا ومنافقا . فقال : (ما حكمت مخلوقا . ما حكمت إلا القرآن) .

يقول البيهقى رحمه الله تعالى : هذه الحكاية عن على رضى الله عنه شائعة فيما بين أهل العلم . ولا أراها شاعت . إلا عن أصل والله أعلم .

وروى البيهقى : أن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : (القرآن كلام الله . وليس كلام الله بمخلوق) .

وهو أيضا ما قال به علماء التابعين : ابن عيينة وابن راهويه وعلى زين العابدين ابن الحسين بن على رضى الله عنهم وغيرهم كثير .

● المشيئة والإرادة :

قال الله تعالى : ﴿ **وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ .

وقال عز وجل : ﴿ **وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ** ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ** ﴾ .

وروى البيهقى فى الأسماء والصفات . عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (لكل نبى دعوة . وأريد إن شاء الله أن أختبئ دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة) .

روى البيهقي في كتاب الاعتقاد [1]: أخبر الربيع بن سليمان قال: قال الشافعي رحمه الله تعالى: (المشيئة إرادة الله عز وجل. قال الله عز وجل (وما تشاءون إلا أن يشاء الله) فأعلم الله خلقه أن المشيئة له دون خلقه. وأن مشيئتهم لا تكون إلا أن يشاء).

وسئل الشافعي رضي الله عنه عن القدر فأنشأ يقول [2]:

ما شئت كان وإن لم أشأ	وما شئت إن لم تشأ لم يكن
خلقت العباد على ما علمت	ففي العلم يجري الفتى والمسن
على ذا مننت وهذا خذلت	وهذا أعنت وذا لم تعن
فمنهم شقي ومنهم سعيد	ومنهم قبيح ومنهم حسن

الرؤية في الدار الآخرة :

قال الله تعالى: ﴿ **كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ** ﴾ [المطففين: ١٥]

وقال عز وجل: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾

[القيامة: ٢٢، ٢٣]

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ** ﴾ [يونس: ٢٦]

وقد فسر النبي ﷺ وصحابته والتابعون: أن الزيادة في هذه الآية النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى. وانتشر عنه وعنهم إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة بالأبصار كما ذكره البيهقي في الاعتقاد (٢١٨).

وذكر ابن جرير الطبري في التفسير (١١ / ١٠٧) عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ **لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ** ﴾ قال: (النظر إلى وجه الرحمن)

وروى البيهقي في الاعتقاد. قال هرم القرشي: سمعت الشافعي رحمه الله

---

(١) الاعتقاد: ٢٦٣ .

(٢) ديوان الإمام الشافعي والأسماء والصفات للبيهقي ١٧٢، ١٧٣ .

يقول فى قول الله عز وجل ﴿ **كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ** ﴾ قال : فلما حجبهم فى السخط كان هذا دليلا على أنهم يرونه فى الرضا .

وروى أيضا عن سعيد بن أسد قال : قلت للشافعى رحمه الله . ما تقول فى حديث الرؤية؟ فقال لى : يا ابن أسد . اقض على حييت أومت أن كل حديث يصح عن رسول الله ﷺ فإنى أقول به وإن لم يبلغنى والله أعلم .

وقال الإمام الشافعى فى الفقه الأكبر : (واعلموا أن الله سبحانه وتعالى : يرى نفسه فيما لم يزل ولا يزال من غير اتصال شعاع ولا مقابلة . ويجوز للخلق أن يروه عقلا لأنه موجود . وكل موجود يصح أن نراه .أ .هـ.

وهكذا يقرر الإمام الشافعى رضى الله عنه إن الرؤية ثابتة : وأنها مما يمن الله تعالى به على عباده المؤمنين فى الآخرة . اللهم لا تحرمنا والمسلمين من لذة النظر إلى وجهك الكريم يا رحمن يا رحيم .

* * *

(٧) قضية خلق الأعمال

قال الله عز وجل: ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [غافر: ٦٢] فدخل فيه الأعيان والأفعال من الخير والشر.

وقال: ﴿ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الرعد: ١٦] فنفى أن يكون خالق غيره. ونفى أن يكون شئ سواه غير مخلوق. فلو كانت الأفعال غير مخلوقة. لكان الله - سبحانه - خالق بعض الشئ دون جميعها. وهذا خلاف الآية ومعلوم أن الأفعال أكثر من الأعيان. فلو كان الله خالق الأعيان. والناس خالقى الأفعال لكان خلق الناس أكثر من خلقه. ولكانوا أتم قوة منه وأولى بصفة المدح من ربهم سبحانه ولأن الله تعالى قال: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصفات: ٩٦] فأخبر أن أعمالهم مخلوقة لله عزوجل.

روى البيهقى بسنده عن قتادة فى قوله: ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾ [الصافات: ٩٥] قال: الأصنام: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦] قال: خلقكم وخلق ما تعملون بأيديكم.

قلنا: - أى البيهقى - ولأن الله تعالى قال: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٠١] فامتدح بالقولين جميعا. فكما لا يخرج شئ من علمه لا يخرج شئ غيره من خلقه ولأنه قال: ﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾ [الملك: ١٣، ١٤] فأخبر أن قولهم وسرهم وجهرهم خلقه. وهو بجميع ذلك عليم. وقال: ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴾ [النجم: ٤٣] كما قال: ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ [النجم: ٤٤]

فكما كان مميتا محييا بأن خلق الموت والحياة . كان مضحكا ومبكيا . بأن خلق الضحك والبكاء . وقد يضحك الكافر سرورا بقتل المسلمين وهو منه كفر . وقد يبكى حزنا بظهور المسلمين وهو منه كفر .

فثبت أن الأفعال كلها خيرها وشرها صادرة عن خلقه وإحداثه إياها . ولأنه قال : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال : ١٧] وقال : ﴿ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ [الواقعة : ٦٤] فسلب عنهم فعل القتل والرمى والزرع مع مباشرتهم إياه . وأثبت فعلها لنفسه . ليدل بذلك على أن المعنى المؤثر فى وجودها بعد عدمها هو إيجاده وخلقه . وإنما وجدت من عباده مباشرة تلك الأفعال بقدرة حادثة أحدثها خالقنا [عز وجل] على ما أراد : فهى من الله – سبحانه – خلق . على معنى أنه هو الذى اخترعها بقدرته القديمة . وهى من عباده كسب على معنى تعلق قدرة حادثة بمباشرتهم التى هى أكسابهم . . ووقوع هذه الأفعال أو بعضها على وجوه تخالف فعل مكتسبها يدل على موقع أوْقَعَها على ما أراد غير مكتسبها . وهو الله ربنا . خلقنا وخلق أفعالنا لا شريك له فى شئ من خلقه (تبارك الله رب العالمين) .

وكان الإمام أبو الطيب : سهل بن محمد بن سليمان (شيخ الشافعية بخراسان) يعبر عن هذا بعبارة حسنة . فيقول : (فعل القادر القديم خلق . وفعل القادر المحدَث كسب فتعالى القديم عن الكسب وجل . وصغر المحدث عن الخلق وذل) .

وقد أثبت الله – سبحانه – كسب العباد، وخلق كسبهم بما ذكرنا من الآيات فى هذا الموضوع . ثم يقول : وبمثل ذلك جاءت السنة عن رسول الله ﷺ[1] . أ . هـ ولنا أن نتساءل : ما هو الكسب وما هو المعنى المراد منه؟ .

قال العلامة ابن القيم الجوزية[2] : أما الكسب فأصله فى اللغة . الجمع . قاله

---

(١) الاعتقاد للبيهقى : ٢٤٤ – ٢٤٦ .

(٢) شفاء العليل : ١٢٠ ذكره عبد الله الدرويش بهامش كتاب الاعتقاد : ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

الجوهرى. وهو طلب الرزق. يقال: كسبت شيئا واكتسبته بمعنى. وكسبت أهلى خيرا وكسبت الرجل مالا فكسبه. وهذا مما جاء على فعلته ففعل. والكواسب الجورح. وتكسّب تكلف الكسب والكسب قد وقع فى القرآن على ثلاثة أوجه:

أحدها: عقد القلب وعزمه كقوله تعالى: ﴿ **لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ** ﴾ [البقرة: ٢٢٥] أى: بما عزمتم عليه وقصدتموه. وقال الزجاج: أى: يؤاخذكم بعزمكم على أن لا تبروا وأن لا تتقوا وأن تعتلوا فى ذلك بأنكم حلفتم، وكأنه التفت إلى لفظ المؤاخذة وأنها تقتضى تعذيبا فجعل كسب قلوبهم عزمهم على ترك البر والتقوى لمكان اليمين. والقول الأول: أصح. وهو قول جمهور أهل التفسير فإنه قابل به لغو اليمين، وهو أن لا يقصد اليمين. فكسب القلب المقابل للغو اليمين هو عقده وعزمه. كما قال فى الآية الأخرى: ﴿ **وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ** ﴾ [المائدة: ٨٩] فتعقيد الأيمان هو: كسب القلب.

الوجه الثانى من الكسب: كسب المال من التجارة قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ** ﴾ [البقرة: ٢٦٧] فالأول للتجار والثانى للزراع، الوجه الثالث من الكسب: السعى والعمل كقوله تعالى: ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ** ﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقوله: ﴿ **مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ** ﴾ [الزمر: ٢٤] ﴿ **وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ** ﴾ [الأنعام: ٧٠]. أ. هـ.

أخرج البخارى عن حذيفة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يصنع كل صانع وصنعته»

وأخرج البيهقى عن عمران بن حصين قال: قيل: يا رسول الله: أَعُلِمَ أهل الجنة من أهل النار؟ قال: (نعم) قيل: ففيم يعمل العاملون؟ قال: (كل ميسر لما خلق له).

وفى رواية ابن علية قال: (اعملوا فكل ميسر).

إن هذه القضية يتفق فيها رأى الإمام الشافعى رضى الله عنه مع ما هو مقرر فى مذهب أهل السنة. وهو أيضا ما كان عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين ويتضح ذلك فيما يلى:

أولا: ما كتبه الشافعى فى خطبة كتابه (الرسالة) يقول:

الحمد لله الذى لا يؤدى شكر نعمة من نعمه إلا بنعمة منه. توجب على مؤدى ذلك الشكر. شكرا آخر.

وتفسيره: أنه لا يمكن شكر نعم الله تعالى إلا بتوفيقه. وذلك التوفيق نعمة جديدة من الله تعالى فيفتقر إلى شكر آخر.

ومن هذا المنطلق كانت السيدة رابعة العدوية رضى الله عنها تقول: (استغفارنا يحتاج إلى استغفار) كما كانت تقول: (أستغفر الله من قلة قولى أستغفر الله).

ثم قال الشافعى فى هذه الخطبة: (وأستهدى بهداه الذى لا يضل من أنعم به عليه) ثانيا: حكى الربيع بن سليمان عن الإمام الشافعى أنه قال: قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]. «فأعلم الله عباده أن المشيئة له دون خلقه وأن مشيئتهم لا تكون إلا أن يشاء».

قال الفخر الرازى رحمه الله تعالى: واعلم أن الشافعى أشار فى هذا الكلام إلى الدليل الذى هو الدليل الأقوى لمثبتى القضاء والقدر.

وتقديره: أن صدور الفعل من العبد. موقوف على أن يحصل فى قلبه مشيئة لذلك الفعل. وحصول تلك المشيئة ليس بمشيئة أخرى من قبل العبد. والإلزم التسلسل فلابد من انتهاء تلك المشيئة إلى مشيئة تحدث بمشيئة الله تعالى وعلى هذا التقدير: يكون الكل بقضاء الله.

ثم يقول: ولقد سألنى جمع من المعتزلة فى (خوارزم) عن قوله تعالى ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] وقالوا: هذا تصريح بأن الكل بمشيئة العبد فقلت: بل هذه الآية من أقوى الدلائل على القول بالقضاء والقدر وذلك: لأن الآية: دلت على أن صدور الفعل عن العبد موقوف على كونه شائيا لذلك الفعل. وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ

اللَّهُ﴾[التكوير: ٢٩] دليل على أن حصول المشيئة للعبد. موقوف على كون الله تعالى شائيا لتلك المشيئة والموقوف على الموقوف على الشئ موقوف على ذلك الشئ. فهاتان الآيتان بمجموعهما دليل قاطع على أن الكل بقدر الله تعالى. أ. هـ.

ثالثها: روى الربيع أن الشافعى سئل عن القدر فقال:

ما شئت كان وإن لم أشأ   وما شئت – إن لم تشأ – لم يكن
خلقت العباد على ما علمت   ففى العلم يجرى الفتى والمسن
على ذا مننت وهذا خذلت   وهذا أعنت وذا لم تعن
فمنهم شقى ومنهم سعيد   ومنهم قبيح ومنهم حسن

ويقول الرازى فى ختام شرحه لهذه الأبيات: ومن تأمل فى هذه الأبيات التى ذكرها الإمام الشافعى ووقف على الشرع الذى لخصناه. عرف أنه لم يتفق لأحد من عظماء المتكلمين.

من الدلائل النفسية فى هذه المسألة. ما ذكره هذا الإمام فى هذه الأبيات ومما يقرب من هذا المعنى. قوله رحمه الله:

الهم فضل. والقضاء غالب   وكائن ما خط فى اللوح
فانظر الروح وأسبابه   أليس ما كتب من الروح؟

فقوله:

الهم فضل والقضاء غالب

معناه ما ذكره فى قوله:

ما شئت كان وإن لم أشأ   وما شئت - إن لم تشأ - لم يكن؟

فهو إشارة إلى أن الأمور المطلوبة عند اجتماع أسبابها الظاهرة قد لا تحصل وعند اليأس من حصولها قد تحصل. وذلك يدل على أن حصولها ليس بجد الإنسان وبجهده بل بغيره.

رابعا : حكى الربيع عن الشافعى أنه قال :

الناس لم يخلقوا أعمالهم بل هى خلق من الله تعالى فعل للعباد .

يقول الفخر الرازى : هذا الكلام مأخوذ من القرآن . قال الله تعالى : ﴿ **وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ** ﴾ [الأنفال : ١٧]أى ما رميت خلقا إذ رميت . وقال تعالى : ﴿ **كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ** ﴾ [الأنفال : ٥] ثم قال تعالى : ﴿ **إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾ [التوبة : ٤٠] فأضاف ذلك الإخراج إلى نفسه تعالى بالخلق وإلى العبد بالكسب .

خامسا : روى البيهقى بإسناده عن الشافعى عن يحيى بن سليم عن جعفر ابن محمد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر عن على بن أبى طالب – كرم الله وجهه – أنه خطب الناس . فقال : أعجب ما فى الإنسان قلبه . فيه مواد من الحكمة وأضدادها من خلافها فإن سنح له الرجاء أولهه الطمع . وإن هاج به الطمع أهلكه الحرص . وإن ملكه اليأس قتله الأ سف وإن عرض له الغضب اشتد به الغيظ ، وإن أسعده الرضا نسى التحفظ . وإن ناله الخوف شغله الحزن . وإن أصابته المصيبة قصمه الجزع ، وإن وجد مالا أطغاه الغنى وإن عضته فاقة شغله البلاء . وإن أجهده الجوع قعد به الضعف فكل تقصير به مضر . وكل إفراط له مفسد .

قال : فقام رجل ممن شهد معه الجمل . فقال : يا أمير المؤمنين : أخبرنا عن القدر . فقال : « بحر عميق فلا تلجه » فقال : يا أمير المؤمنين : أخبرنا عن القدر . فقال : « بيت مظلم فلا تدخله » . فقال : يا أمير المؤمنين : أخبرنا عن القدر : فقال : سر الله فلا تبحث عنه « فقال يا أمير المؤمنين : أخبرنا عن القدر . فقال : لما أبيت . فإنه أمر بين أمرين . لا جبر ولا تفويض » .

فقال : يا أمير المؤمنين : إن فلانا يقول : بالاستطاعة – وهو حاضر –

فقال على رضى الله عنه – : علىَّ به . فأقاموه . فلما رآه قال له : الاستطاعة تملكها مع الله . أو من دون الله ؟ وإياك أن تقول أحدهما فتريد .

قال قل أملكها بالله – الذى إن شاء ملكنيها .

قال الإمام فخر الدين الرازى : شارحا لكلام أمير المؤمنين رضى الله عنه فقال : هذا الفصل الذى ذكره أمير المؤمنين على بن أبى طالب – رضى الله عنه – فصل فى غاية الجلالة ودال على صحة القول بالقضاء والقدر وبيانه : أن لا شك فى أن أفعال الجوارح مرتبطة بما يحصل فى القلوب من الدواعى والصوارف . ثم إنه رضى الله عنه بين أن كل ما فى القلب من الدواعى والصوارف فإنه يحدث بسبب من الأسباب الخارجة عن قدرة الإنسان وإختياره . وذلك أن الإنسان إذا رأى صورة شخص وسمع كلامه ترتب على تلك الرؤية وذلك السماع رجاء لشئ ثم حصول ذلك الرجاء عقيب تلك الرؤية . وذلك السماع ليس باختيار الإنسان البتة بل هو حاصل سواء أراد الإنسان حصوله أو لم يرده . وإذا حصل ذلك الرجاء له . أو لهه الطمع شاء أم أبى .

وهذا برهان قاطع على أن أفعال العباد مرتبة على ما فى القلوب من الدواعى والصوارف وأن تلك الدواعى والصوارف يترتب بعضها على بعض ترتبا اضطراريا . وذلك تحقيق القول بالقضاء والقدر . فما أشرف كلام أمير المؤمنين – رضى الله عنه – فى هذه المسألة .

وأما قوله رضى الله عنه : (فإنه أمر بين أمرين . لا جبر ولا تفويض) .

فتفسيره : هو أن الجبر أن يحدث الشئ على خلاف الإرادة . وههنا فعل الإنسان يحدث على وفق إرادته فلا يكون جبرا . ثم إن حدوث تلك الإرادة فى قلب الإنسان ليس من الإنسان . وإلا لافتقر إلى إرادة أخرى ولزم التسلسل . وهو محال بل من الله تعالى . وإذا كان الأمر كذلك ثبت أنه لا تفويض . فثبت أن زبدة كلام العقلاء وحاصل أفكارهم ليس إلا ما أدرجه أمير المؤمنين (على بن أبى طالب رضى الله عنه) فى هذه الألفاظ الموجزة النفيسة .

ثم يقول : ونظير هذه الكلمة فى الجلالة ما نقل عنه عليه السلام أنه سئل عن التوحيد والعدل فقال : (التوحيد أن لا نتوهمه والعدل أن لا نتهمه) .

وهاتان الكلمتان المختصرتان مشتملتان على جميع ما ذكره المتكلمون فى تصانيفهم الطويلة ولو شرعنا فى شرحهما لطال الكتاب . أ . هـ .

وهذا الكلام لأمير المؤمنين كان الإمام الشافعى رضى الله عنه يقول به ويتوافق قوله معه .

سادسا : روى البيهقى عن الشافعى – رضى الله عنه – أن المؤذن إذا قال : حى على الصلاة . حى على الفلاح . فالسنة أن يقول المستمع : لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . والمعنى : أن الإنسان إذا دعى إلى الصلاة وإلى الفلاح . فهو يقول : لا حول ولا قوة ولا طاقة فى الإتيان بهذه الطاعة إلا بإعانة الله وتوفيقه .

وروى البيهقى : عن الشافعى أيضا أنه قال :

قـــدر الله واقـــع ... حـــيث يقـــضى وروده

قـد مـضى فـيك حكمـه ... وانقـــضى مـــا يريده

فـــأرد مـــا يكـو ... ن إلمّ يكن مـــا يريده

قال المزنى : قلت للشافعى . من القدرية؟ فقال : هم الذين يزعمون أن الله تعالى لا يعلم المعاصى حتى تكون . أو قال : إلا بعد وقوعها .

وقال الرازى : واعلم أن مذهب المعتزلة . لا يستقيم إلا بهذا القول . قالوا : لأنه تعالى لو علم الأشياء قبل وقوعها لكان جبرا لازما . من حيث أن خلاف المعلوم ممتنع الوقوع . أ . هـ يقول الدكتور السقا بهامش كتاب مناقب الإمام الشافعى للفخر ما نصه :

الذى كتبه المؤلف – فخر الدين الرازى– عن الشافعى فى أفعال العباد هو مذكور بالمعنى فى الفقه الأكبر المنسوب إلى الشافعى . ففى هذا الكتاب الفصول التالية :

١ – ما شاء الله كان .

٢– ما في الكون من إرادة الله .

٣ – الخلق لله والكسب للعبد .

٤ – الكسب اختيار العبد .

٥ – قدرة العبد استطاعة لا خلق.

٦ – استطاعة العبد جزئية لفعل واحد .

٧ – لا نهاية لقدرة الله – أ.هـ .

* * *

(٨) مذهبه فى الخلفاء والصحابة رضى الله عنهم

قال الإمام الشافعي رضى الله عنه فى الفقه الأكبر:

واعلموا أن الإمام الحق بعد رسول الله ﷺ أبو بكر رضى الله عنه، والدليل عليه إجماع الصحابة على إمامته.

واعلموا أن الإمام الحق بعد أبى بكر: عمر بن الخطاب رضي الله عنه. والدليل عليه أن أبا بكر نص على أنه خليفة من بعده وعهده إليه. ثم اجتمعت الصحابة عليه من غير تنازع.

واعلموا أن الإمام الحق بعد عمر رضى الله عنه. عثمان بن عفان رضى الله عنه. بجعل أهل الشورى اختيار الإمام لعبد الرحمن بن عوف فاختار عثمان واجتمعت الصحابة عليه.

واعلموا أن الإمام الحق بعد عثمان. على بن أبى طالب رضى الله عنه. وثبتت إمامته بمبايعة أكابر الصحابة ورضا الباقين. أ. هـ.

روى ابن أبى حاتم فى آداب الشافعى عن حرملة بن يحيى قال: سمعت الشافعى يقول: (الخلفاء خمسة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبد العزيز رضى الله عنهم) وروى الربيع بن سليمان رحمه الله. أن الإمام الشافعى رضى الله عنه: كان يقول بتفضيل أبى بكر وعمر وعثمان وعلى - رضى الله عنهم - وكان يحتج على إمامة أبى بكر رضى الله عنه بعد الدلائل المشهورة بوجوه من الأدلة:

١ - روى الشافعى عن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن محمد بن جبير بن

مطعم عن أبيه عن امرأة أتت النبى ﷺ فسألته عن شئ فأمرها أن ترجع . فقالت : يا رسول الله إن رجعت فلم أجدك - كأنها تعنى الموت - فقال عليه الصلاة والسلام : «فأتى أبا بكر» وهذا منه ﷺ إشارة إلى أن أبا بكر هو القائم بعده .

٢ - روى الشافعى عن سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربعى ابن جراش عن حذيفة : أن النبى ﷺ قال : «اقتدوا بالَّذَين من بعدى بأبى بكر وعمر» .

٣ - قال رجل للشافعى : ما رأيت هاشميا يقدم أبا بكر وعمر عَلَى عَلِىّ غيرك ؟

فقال الشافعى : على ابن خالتى وابن عمى . لأنى رجل من بنى عبد مناف وأنت رجل من بنى عبد الدار . ولو كان الأمر كما قلت . لكنت أولى بهذه الكرامة ولكن ليس الأمر كما تتمنى قال البيهقى رحمه الله تعالى : قول ذلك الرجل للشافعى : «ما رأيت هاشميا غيرك» إنما قال ذلك لما ذكرناه فى باب نسب الشافعى . أنه من جهة أمهات أجداده : هاشمى .

٤ - ونقل أنه ذكر عنده . على بن أبى طالب رضى الله عنه . فقال رجل من القوم : ما نفّر الناس من عَلِىّ إلا لأنه كان لا يبالى بأحد . فقال الشافعى :

كان فيه أربع خصال لا تكون خصلة واحدة منها فى إنسان إلا ويحق له أن لا يبالى بأحد إنه كان زاهدا . والزاهد لا يبالى بأحد . وكان عالما . والعالم لا يبالى بأحد . وكان شجاعا . والشجاع لا يبالى بأحد . وكان شريفا . والشريف لا يبالى بأحد .

٥ - وعن الربيع بن سليمان أنه قال : سمعت الشافعى يقول :

شهدت بأن الله لا رب غيره ... وأشهد أن البعث حق وأخص
وأن عرى الإيمان قول مبين ... وفعل زكى قد يزيد وينقص
وأن أبا بكر خليفة أحمد ... وكان أبو حفص على الحق يحرص

وأشهد ربى أن عثمان فاضل   وأن عليا فضله متخصص
أئمة دين يقتدى بفعالهم   لحا الله من إياهم يتنقص
فما لغواة يشتمون سفاهة   وما لسفيه لا يخاف فيخرص

٦ – روى ابن عبد الحكم عن الشافعى أنه قال :

أما أرى أن الله تعالى لا يمنع الناس عن شتم أصحاب رسول الله ﷺ إلا ليزيدهم ثوابا عند انقطاع أعمالهم .

وقد أثنى الله – سبحانه وتعالى – على أصحاب رسول الله ﷺ فى القرآن والتوراة والإنجيل . وذكرهم رسول الله ﷺ بأنواع الفضائل وهم أدوا إلينا سنن الرسول ﷺ وشاهدوا الوحى ينزل فلا جرم علموا ما لا نعلمه من العام والخاص والإرشاد والإيجاب فهم فوقنا فى كل علم واجتهاد وورع وعقل فإن اجتمعوا كان قولهم حجة . وإن قال أحدهم ولم يخالفه غيره . أخذنا بقوله . أ.هـ .

وهكذا يتحدث الإمام الشافعى رضى الله عنه عن الخلفاء الراشدين وعن جميع الصحابة الكرام الذين أثنى عليهم ربنا عز وجل ورسولنا المصطفى ﷺ الأمر الذى معه نرفض كل ما اتُّهم به الشافعى رضى الله عنه . الذى اتُّهم مرة بالتشيع وأخرى بأنه ناصبى أى يعادى عليا رضى الله عنه وأبناءه . وكل هذا وما أشبهه ظلم بينٌ للإمام رضى الله عنه كما سوف نرى .

فالصحابة جميعا كانوا محل تقدير وإجلال من الإمام الشافعى رضى الله عنه . وكيف لا يكون كذلك وهو الإمام الذى لم ينازع أحد فى إمامته . ولم يقلل أحد من علمه وواسع خيرته .

*   *   *

(٩) أهل البيت النبوى
(رضى الله عنهم)

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣]

وقال عز وجل: ﴿ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [هود: ٧٣]

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى: ٢٣]

وروى البيهقى وابن حبان عن على كرم الله وجهه قال:

خرج علينا رسول الله ﷺ مغضبا حتى استوى على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (ما بال رجال يؤذوننى فى أهل بيتى. والذى نفسى بيده. لا يؤمن عبد حتى يحبنى ولا يحبنى حتى يحب ذريتى).

وأخرج الطبرانى فى الكبير وابن حبان فى صحيحه والبيهقى أن النبى ﷺ قال: (لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وتكون عترتى أحب إليه من عترته وأهلى أحب إليه من أهله وذاتى أحب إليه من ذاته).

وأخرج ابن سعد فى السيرة: أنه ﷺ قال:

(استوصوا بأهل بيتى خيرا فإنى أخاصمكم عنهم غدا. ومن أكن خَصْمه. خَصَمه الله. ومن خصمه الله. أدخله النار).

وروى فى الصحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

(أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه. وأحبونى بحب الله. وأحبوا أهل بيتى لحبى)
وقد اختلف الأئمة والعلماء ومن قبلهم الصحابة فى تحديد: من هم أهل البيت.

فمن قائل إنهم على وبنوه وزوجه ومن قائل إنهم نساؤه. وثالث يقول هم أبناء على وعقيل والعباس وجعفر. وقال الشافعى ومالك هم مؤمنوا بنو هاشم والمطلب. والشافعى منهم لأنه مطلبى من جهة آبائه وأجداده وهاشمى من جهة أمه وأمهات أبائه وأجداده وهاشم والمطلب كانا أخوين متناصرين فى الجاهلية وفى الإسلام[1].

لقد كان أهل البيت النبوى محل احترام وتقدير الإمام الشافعى رضى الله عنه وقد أنزلهم منازلهم لمكانهم من رسول الله ﷺ. أحبهم الشافعى فى تشيع. وتشيع إليهم فى محبة يقول رضى الله عنه:

يا آل بيت رسول الله حبكم	فرض من الله فى القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الفخر أنكم	من لم يصل عليكم لا صلاة له

وقال أيضا:

آل النبى ذريعتى	وهمو إليه وسيلتى
أرجو بهم أعطى غدا	بيدى اليمين صحيفتى

وقال عندما اتهم بأنه من الرافضية:

إن كان رفضا حب آل محمد	فليشهد الثقلان أنى رافضى

ويقول متعجبا من أمر الناس فى هذه المسألة:

إذا فى مجلس تذكر عليا	وسبطيه وفاطمة الزكية
يقال: تجاوزوا يا قوم هذا	فهذا من حديث الرافضية
برئت إلى المهيمن من أناس	يرون الرفض حب الفاطمية

(١) راجع كتابنا: مشارق الأنوار فى مناقب الأخيار. فى حكم محبة آل البيت وبيان فضلهم ومن هم؟ وفضل زيارتهم.

وقال أيضا رافضا مثل هذا الاتهام :

إذا نحن فضلنا عليا فإننا ... روافض بالتفضيل عند ذوى الجهل
وفضل أبى بكر إذا ما ذكرته ... رميت بنصب عن ذكرى للفضل
فلا زلت ذا رفض ونصب كلاهما ... بحبيهما حتى أوسد فى الرمل[1]

وقال فى محبة أهل البيت :

يا راكبا قف بالمحصب من منى ... واهتف بقاعد خفيها والناهض
سحرا إذا فاض الحجيج إلى منى ... فيضا كملتطم الفرات الفائض
إن كان رفضا حب آل محمد ... فليشهد الثقلان أنى رافضى
وأخبرهم أنى من النفر الذى ... لولاء أهل البيت ليس بناقض

وهكذا يقرر الإمام الشافعى رضى الله عنه أن حب الأفاضل الأتقياء من الأمة أمر واجب . فهو يظهر لنا ولاءه للصحابة الكرام ولآل بيت رسول الله ﷺ وكيف لا يكون منه هذا الموقف وهو الإمام العالم العامل . الفاهم الواعى . المفكر الثبت . المؤمن التقى . المتكلم فى كل مجال . الصادق فى كل مقال . الواسع الخبرة حتى كان فى كل علم وفن كأهله . رضى الله عنه . فلا عجب أن يتفجر منه كل هذا الحب الإيمانى العميق لآل البيت الكرام وللصحابة الأعلام فجزاه الله خيرا عما قدم لأمة خير الأنام ﷺ .

روى فى كتاب الذبائح أن الإمام الشافعى قال : (واجب أن نكثر الصلاة على النبى ﷺ . لأن ذكر الله عز وجل والصلاة على النبى ﷺ إيمان بالله وعبادة له) صلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد النبى الأمّى وعلى آله وصحبه أجمعين . آمين .

---

(١) الرافضية : شيعة . والناصبية : هم من يعادون عليا وأبناءه ويسبونهم .

(١٠) اتهامات باطلة وافتراءات ظالمة

لقد درس الإمام الشافعي رضى الله عنه كثيرا من العلوم وتحدث في معظمها. لقد كان نهما فى طلب العلم. وطالب العلم لا يشبع. ورد فى الأثر:

« منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال والعلم يحرسك وأنت تحرس المال » لقد طاف البلاد ودرس على الأعلام فى مكة والمدينة والعراق واليمن ومصر وفيها ذاع صيته ونشرت علومه. تحدث فى الفقه وأصوله وفى القرآن وعلومه وفى الحديث وعلومه وفى العقيدة وفى الشعر والآدب وفى الطب والفلك والأثر والحساب وغيرها وعالم كهذا يكون حتما محلا لحقد الحاقدين ومرتعا خصبا لجهالة الجاهلين فى حياته وبعد وفاته. فلقد اتهم بما ليس فيه وافترى عليه بما لم يكن يعتقده ويؤمن به. وتلك ضريبة العلم. أليس هو القائل:

(أما أرى أن الله تعالى: لا يمنع الناس عن شتم أصحاب رسول الله ﷺ إلا ليزيدهم ثوابا عند انقطاع أعمالهم).

وأقول له: وكذلك الأئمة والعلماء الأخيار وكل فاعلى الخير ودعاة الهدى والإيمان. لقد كان الإمام الشافعي رضي الله عنه قرآنى العقيدة سلفى المنهج (طريقة الصحابة) سنى النزعة. بل أزعم أنه من كبار أئمة أهل السنة والجماعة المؤسس فكرها على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأقوال الصحابة الكرام وأئمة التابعين. لقد زعم بعض المبتدعة وأصحاب الأهواء أنه يميل إليهم. وهو الإمام الكبير القدر العالى الهمة. الذى ملأ الدنيا علما فبايعته الأمة بالإمامة والريادة.

لقد ادعى فيه ثلاث طوائف أنه يميل إليهم وتقول كل طائفة منهم أنه كان يقول بمثل أقوالها والإمام برئ مما يزعمون. وهؤلاء هم المشبهة والمجسمة فى

الماضى وفى الحاضر. والمعتزلة قديما وحديثا، والرافضة. وكان القصدمن وراء ذلك هو تبرير مواقفهم وآرائهم:

(أ) أما المشبهة: فقد زعموا أن الإمام الشافعى رضى الله عنه كان منهم.

واحتجوا على ذلك بأمرين:

الأول: إن الإمام الشافعى. كان يبغض علم الكلام ويكره الاشتغال به. كما كان فى غاية المحبة لظواهر الكتاب والسنة. ولم يكن يميل إلى التأويل. وذلك يدل على أنه كان على ذلك المذهب حسب زعمهم.

(وأقول: كذبوا لقد كان الإمام مفوضا ولم يكن مشبها. وهذا مذهب الصحابة الكرام. فهؤلاء. قديما وحديثا لا يستطيعون تحديد الفرق بين التفويض والتشبيه. ولكنهم خلطوا الامرين معا).

الثانى: مما هو معلوم أن الإمام أحمد بن حنبل كان يحب الشافعى ويقدره ويعظمه. وكان فى غاية الإنكار لمذهب المتكلمين فى التنزيه. وذلك يوجب أن الشافعى كان على ذلك المذهب (وأقول: هذا سفه فى التفكير. فليس معنى أن يحب إنسان إنسانا أن يكون على عقيدته أو مقتنع برأيه. وحقيقة الأمر أن الإمام أحمد رضى الله عنه كان كشيخه الإمام الشافعى فى الأخذ بآراء الصحابة والتابعين. والإمام أحمد برئ مما يقول به المشبهة من أتباع مذهبه. يقرر هذه الحقيقة الإمام ابن الجوزى فى كتابه القيم «دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه» وابن الجوزى من علماء الحنابلة الأفاضل. وأنصح بقراءة هذا الكتاب بتحقيق الشيخ حسن السقاف فقد وضع عليه حواشى وتفاسير مهمة.

ورحم الله القائل: (إثنان من الأئمة ظلمهما تلاميذهما. الإمام جعفر الصادق والإمام أحمد بن حنبل) وما زال سلفية هذا العصر يعدون الشافعى ممن يقول بمثل أقوالهم وهم المشبهة والمجسمة بأسلوب اللف والدوران ورغم هذا فإنى رأيت بعضهم يعلن كراهيته للشافعى مدعيا تشيعه).

(ب) وأما المعتزلة : فقد زعموا هم أيضا . أن الإمام الشافعي كان منهم . وذلك لأمرين : الأول : ذكر القاضي عبد الجبار بن احمد الهمداني في كتابه (طبقات المعتزلة) إن إبراهيم بن أبى يحيى المزني . أخذ المذهب عن عمرو بن عبيد ولا نزاع في كون إبراهيم معتزليا . ومسلم بن خالد الزنجي أخذ المذهب عن غيلان . والشافعي كان تلميذا لابراهيم بن أبى يحيى ولمسلم بن خالد . فاجتمع للشافعي رجلان من أهل الحق من القائلين بالعدل والتوحيد : إبراهيم ومسلم .

(وأقول : إن هذا وهم وزعم باطل . لأن الشافعي قد قرأ عليهما أبوابا من الفقه ولم يكن يقرأ عليهما العقيدة هذا شئ . وشئ آخر هو : ما الدليل على أن الرجلين كانا من المعتزلة وهما لم يتكلما في هذا الأمر لأنهما يشتغلان بعلم الفقه وأصوله وتدريسه في بيت الله الحرام).

الثاني : قال بعض المعتزلة : إن الإمام الشافعي قد اختار في بعض آلآيات قراءات دالة على مذهب المعتزلة . مثل :

١ – أنه قرأ في سورة الأعراف . قوله تعالى : ﴿ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَسَاءَ ﴾[الأعراف :١٥٦] فالقراءة المشهورة تفيد أن له تعالى : أن يعذب من يشاء كما يشاء . وهذه القراءة – بالسين) تفيد – أنه تعالى : لا يعذب إلا من أتى بالفعل (السئ) .

٢ – قرأ في سورة سبأ ﴿ وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ ﴾ [سبأ :١٧] بالنون وكسر اللام في – كل – والفائدة فيه : إنه على هذا التقدير يصير قوله تعالى : ﴿ خَلَقْنَاهُ ﴾ صفة لكل شئ والتقدير : إن كل شئ هو مخلوق لنا فهو بقدر . وهذا يقتضى أن كل ما خلقه الله تعالى فإنه خلقه بقدر . ولا يقتضى أن يكون خالقا لكل شئ . أما إذا قرأنا (إنا كل شئ) بنصب اللام . كان التقدير : إنا خلقنا كل شئ بقدر . وهذا يقتضى أن يكون تعالى خالقا لكل الأشياء . وأنه إنما خلقها بقدر .

(جـ) وأما الرافضة : فزعموا أنه منهم. واستدلوا على ذلك بما يأتى :

١ - رويت أشعار للشافعى مشعرة برغبته فى المذهب الشيعى

روى أن المزنى قال : قلت للشافعى : إنك رجل توالى أهل البيت فلو عملت فى هذا الباب أبياتا؟ . . . فقال :

وما زال كتمانيك حتى كأننى ... برد جواب السؤال لأعجم
وأكتم ودى مع صفاء مودتى ... لتسلم من قول الوشاة وأسلم

وقال :

أنا الشيعى فى دينى ... وأهلى بمكة . ثم دارى عقلية
بأطيب مولد وأعز فخر ... وأحسن مذهب يسمو البرية

وقال أيضا :

يا راكبا يقف بالمحصب من منى ... واهتف بقاعد جمعها والناهض
سحرا إذا فاض الحجيج إلى منى ... فيضا كملتطم الفرات الفائض
إن كان رفضا حب آل محمد ... فليشهد الثقلان أنى رافضى

ونقل عن الربيع بن سليمان أنه قال : حججنا مع الشافعى . فما ارتقى نجدا ولا هبط واديا إلا وهو يبكى وينشد هذه الأبيات الثلاثة (السّابقة) .

وقال أيضا :

آل النبى ذريعتى ... وهم إليك وسيلتى
أرجو بأن أعطى غدا ... بيد اليمين : صحيفتى

٢ - لقد اتهم يحيى بن معين الإمام الشافعى بأنه رافضى وقال : طالعت كتابه فى السير فوجدته لم يذكر إلا على بن أبى طالب رضى الله عنه . وذلك يدل على ما قلناه .

٣ – ذكر أنه حين كان باليمن انضم إلى بعض العلوية وكان ينصرهم ولهذا السبب أخذه هارون الرشيد حتى وقع ما وقع.

فهذا خلاصة ما قيل فى الطعن على الإمام الشافعى رضى الله عنه. كما ذكر البيهقى والفخر الرازى فى كتابيهما (مناقب الإمام الشافعى).

فهذه المزاعم من تلك الطوائف . مزاعم واهية وسفه ولا تقدح فى شخصية الإمام المجدد الإمام الشافعى رضى الله عنه. ولنترك الإمام فخر الدين الرازى ليرد هذه المزاعم المفتراة[1] فيقول: واعلم أن وجوه إحسان الله تعالى إلى الشافعى كثيرة. ومن جملتها:

أن بين المعتزلة والمشبهة مضادة عظيمة. لأن المعتزلة بالغوا فى التنزيه حتى قربوا من التعطيل والمشبهة بالغوا فى الإثبات حتى وقعوا فى التشبيه.

فما ادعت كل واحدة من هاتين الطائفتين المتنافيتين: أن الشافعى كان منهم.

فقد تعارضت هاتان الدعوتان فتساقطا. وبقى الإمام المطلبى مبرأ عن شبهة التشبيه وريبة التعطيل.

ثم نقل: الصداقة التى كانت حاصلة بينه وبين أهل الظاهر. لا توجب كونه على مذهبهم فإنه لا يبعد أن يقال: إنه ما خاض معهم فى علم الأصول فلهذا السبب حصلت تلك الصداقة.

وأما قول قاضى القضاة – عبد الجبار – ففى غاية الضعف. لأن كون الإنسان مستفيدا علم الفقه والحديث من إنسان معتزلى. لا يوجب كونه معتزليا. لا سيما وقد نقلنا الأشعار الكثيرة عن الشافعى الدالة على بعده عن مذهب المعتزلة فبطل ما ذكروه أما تمسكهم بالقراءات التى رويناها. فهو دليل محتمل. وقد نقلنا عنه نقلا ظاهرا وأقوالا منافيه لأقوال المعتزلة. فبطل ما ذكروه.

---

(١) مناقب الإمام الشافعى ١٣٢ – ١٣٤.

وأما دعوى الرافضة فباطلة. لأنه قد اشتهر عنه. أنه كان يقول بإمامة الخلفاء الراشدين. وكان كثير الطعن في الرافض. قال يونس بن عبد الأعلى سمعت الشافعي يقول: (أجيز شهادة أهل الأهواء كلهم إلا الرافضة. فإنهم يشهدون بعضهم لبعض) وقال يونس: (كان الشافعي يعيب على الروافض ويقول: (هم شر عصابة) وأما مدح علي عليه السلام. وحبه والميل إليه. فذاك لا يوجب القدح. بل يوجب أعظم أنواع المدح)[1].

وأما طعن يحيى بن معين. فالجواب عنه:

ما روى البيهقي عن أبي داود السجستاني أنه قيل لأحمد بن حنبل: إن يحيى بن معين. ينسب الشافعي ابن إدريس إلى التشيع. فقال أحمد ليحيى بن معين. كيف عرفت ذلك؟ فقال يحيى: إني نظرت في تصنيفه في قتال أهل البغي. فرأيته قد احتج من أوله إلى آخره. بعلي بن أبي طالب عليه السلام. فقال أحمد: يا عجبا لك. فيمن كان يحتج الشافعي في قتال أهل البغي؟ فإن أول من ابتلى من هذه الأمة بقتال أهل البغي هو علي بن أبي طالب – عليه السلام – قال: فخجل يحيى من كلامه.

وأيضا: فإن يحيى بن معين. كان شديد الحسد للشافعي. وكان يلوم أحمد بن حنبل على تعظيمه للشافعي. وكان أحمد بن حنبل يلومه على ذلك الحسد.

وقد طعنوا في يحيى بن معين بسبب كثرة طعنه في الناس. وقالوا في حقه شعرا:

ولابن معين في الرجال وقيعة	سيسأل عنها والمليك شهيد
فإن كان صدقا يدعيه فغيبة	وإن كان كاذبا فالعذاب شديد

---

(١) ولنا أن نتساءل: هل محبة الشافعي لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه. تشيع وإيمان بمذاهب الشيعة؟ أليس علي من أبناء عمومته. وأليس الحب شيئا. والتشيع شيء آخر. ابدا لا يدل الحب على التشيع والتزام منهج الشيعة.

ثم يقول الفخر:

ولما سمع الشافعى أن بعض الناس رماه بالتشيع. فقال:

إذا نحن فضلنا عليا فإننا روافض بالتفضيل عند ذوى الجهل
وفضل أبى بكر إذا ما ذكرته رميت بنصب عن ذكرى للفضل
فلا زلت ذا رفض ونصب كليهما أدين به حتى أو سد فى الرمل

انتهى كلام الفخر الرازى الذى رد به مفتريات الحاسدين والكاذبين.

وروى ابن أبى حاتم الرازى[1]: حدثنى أحمد بن خالد الخلال قال: سمعت الشافعى يقول: (ما كلمت رجلا فى بدعة إلا رجلا: كان يتشيع).

وروى أيضا: قال الشافعى: (لم أر أحدا - من أصحاب الأهواء - أشهد بالزور من الرافضية).

وهكذا تبين لنا أن الإمام الشافعى رضى الله عنه كان على دراية تامة بمسائل ومباحث «الفقه الأكبر» المسمى بعلم التوحيد أو علم العقيدة على منهج الصحابة والتابعين وليس بمنطق وأسلوب المتكلمين. فهو كان يكره طريقتهم الجدلية ويدعو إلى نبذها كما تبين لنا أنه برئ مما اتهم به من القول بالتشبيه كما يدعى كثير من دعاة السلفية المعاصرة الذين يحاولون دائما ضم الإمامين الجليلين: الشافعى وأحمد بن حنبل إلى صفوفهما. وهما بريئان مما يقولون لأنهم مجسمة العصر ومشبهة هذا الزمان. تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا. والله هو الهادى إلى سواء السبيل.

---

(1) آداب الشافعى ومناقبه: ١٨٦، ١٨٧.

(١١) الإمام الشافعى والتصوف

(١) حقيقة التصوف

عاش رجال الله تعالى بعد الصحابة والتابعين تطلق عليهم أسماء دلت عليها أحوالهم مثل: عباد وزهاد وسياحين وفقراء ومتوكلين وورعين. حتى كان أواخر القرن الثانى الهجرى. ظهرت وشاعت على ألسنة الناس كلمة: تصوف. علما على طائفة معينة من الناس. اتخذت من الحياة الروحية شعارا ومن القرب من الله دثارا. وتمسكوا بخصال الخير أجمعها من زهد وعبادة وتوكل على الله تعالى واعتصام بحبله المتين. ولما أراد الناس لهذه الطائفة اسما يمكن أن يوضع تحته هذه السمات كلها اختاروا كلمة (تصوف). فالصوفية لم ينفردوا بنوع من المعرفة دون نوع. ولم يترسموا برسم من الأحوال والمقامات دون رسم. وذلك لأنهم معدن جميع العلوم. ومحل جميع الأحوال المحمودة والأخلاق الشريفة سالفا ومستأنفا. وهم مع الله تعالى فى الانتقال من حال إلى حال. مستجلبين للزيادة. فلما كانوا فى الحقيقة كذلك لم يكونوا مستحقين اسما دون اسم. فلأجل ذلك ما أضفت إليهم حالا دون حال ولا أضفتهم إلى علم دون علم. لأنى لو أضفت إليهم فى كل وقت حالا ما وجدت الأغلب عليهم من الأحوال والأخلاق والعلوم والأعمال وسميتهم بذلك. لكن يلزم أن أسميهم فى كل وقت باسم آخر. وكنت أضيف إليهم فى كل وقت حالا دون حال على حسب ما يكون الأغلب عليهم. فلما لم يكن ذلك نسبتهم إلى ظاهر اللبسة. لأن لبسة الصوف دأب الأنبياء عليهم السلام وشعار الأولياء والأصفياء. ويكثر فى ذلك الروايات والأخبار. فلما أضفتهم إلى ظاهر اللبسة كان ذلك اسما مجملا عاما مخبرا عن جميع العلوم والأعمال والأخلاق والأحوال الشريفة المحمودة.

ألا ترى أن الله تعالى ذكر طائفة من خواص أصحاب عيسى عليه السلام. فنسبهم إلى ظاهر اللبسة. فقال عز وجل: (إذ قال الحواريون) وكانوا قوما يلبسون البياض. فنسبهم الله تعالى إلى ذلك ولم ينسبهم إلى نوع من العلوم والأعمال والأحوال التى كانوا بها مترسمين. فكذلك الصوفية - عندى - والله أعلم نسبوا إلى ظاهر اللبس. ولم ينبسوا إلى نوع من أنواع العلوم والأحوال التى هم بها مترسمون لأن لبس الصوف كان دأب الأنبياء عليهم السلام والصديقين. وشعار المساكين والمتنسكين[1].

ويلاحظ تعدد التعريفات للتصوف والمتصوفة حتى تجاوزت التعريفات ألفا من العدد لأنه ليس من السهل وضع تعريف يحدد المعنى الدقيق للتصوف معبرا عن حقائقه الروحية. لأن كل مُعَرف له يعرفه بالقدر الذى حصله وطبقا للحال التى هو عليها وأجمع التعريفات التى رويت عن أعلام المتصوفة هو ما ذكره الإمام أبو القاسم الجنيد بن محمد فى قوله:

«طريقنا هذا مقيد بالكتاب والسنة. وهذا الطريق مسدود على سائر الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول ﷺ فى العمل بالكتاب والسنة».

ويقول سهل بن عبدان التسترى وهو من أعيان أهل التصوف:

«أصول علمنا ستة: الاقتداء بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأكل الحلال وكف الأذى. وترك الآثام. وأداء الحقوق. واعتقاد أن لا معين إلا الله. ولا دليل إلى الله سوى رسول الله ﷺ. ومن اتبعه فى هديه. حيث لازاد إلا بالتقوى. ولا عمل إلا بالإخلاص والصبر».

ووصف المتصوفة أحد الفقهاء من ذوى القلوب النيرة أهل التصوف الإسلامى الخالص فقال فى وصفهم:

هينون لينون بنويسر	سواس مكرمة أبناء إيثار
لا ينطقون عن الفحشاء إن نطقوا	ولا يمارون إن ماروا بإكثار

(١) انظر كتابنا: رابعة العدوية نقلا عن كتاب اللمع للطوسى ص ٢٨، ٢٩.

من تلق منهم تقل لقيت سيدهم مثل النجوم التى يسرى بها السارى

ويؤكد الإمام الجنيد على أن التصوف عمل . وعمل دائب فيقول :

(ما أخذنا التصوف عن القيل والقال . لكن بالجوع وترك الدنيا . وقطع المألوفات والمستحسنات) ويشرح هذا القول فيقول :

(التصوف تصفية القلوب حتى لا يعاودها ضعفها الذاتى . ومفارقة أخلاق الطبيعة وإخماد صفات البشرية . ومجانبة نزوات النفس . ومنازلة الصفات الروحية . والتعلق بعلوم الحقيقة . وعمل ما هو خير إلى الأبد . والنصح الخالص لجميع الأمة . والإخلاص فى مراعاة الحقيقة . وإتباع النبى ﷺ فى الشريعة) .

وروى الهجويرى عن الجنيد البغدادى قوله :

(التصوف مبنى على ثمان خصال : (السخاء والرضا والصبر والإشارة والغربة ولبس الصوف والسياحة والفقر) .

ويقول أبو الحسين النورى « الصوفية هم الذين صفت أرواحهم فصاروا فى الصف الأول بين يدى الحق . أى أن الصوفية هم أولئك الذين تحررت أرواحهم من كدورة البشرية وصفوا من الآفات النفسية . وخلصوا من الهوى حتى استقروا فى الصف الأول والدرجة الأعلى مع الحق » .

ويقول السرى السقطى « التصوف اسم لثلاث معان : أن لا يطفئ نور معرفة الصوفى نور ورعه ولا يتكلم بباطن فى علم ينقضه ظاهر الكتاب والسنة . ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله »(١) .

إن لله رجالا أحرارا عقلاء . نظروا إلى الدنيا نظرة فاحصة متأنية واعية . فوقفوا على حقيقتها وعلموا أنها مصدر المتاعب والمشاق والقلق والحيرة . فأعرضوا عنها . ولم تغريهم بلذاتها وشهواتها . فأعلنوا براءتهم منها . إنهم تركوا الدنيا . وأقبلوا على ربهم معلنين خشوعهم وخضوعهم لله تعالى .

---

(١) هذه التقول من كتابنا : رابعة العدوية ٣١ – ٣٥ .

ووقفوا على بابه ملحين فى صبر وعزيمة . ففتح الله لهم أبواب رضاه ومنحهم نعمه ورضوانه ولسان الحال يقول : أهلا بكم يا عبادى لقد أخلصتم العبادة واحسنتم العبادة . فأنتم أهل محبتى ومعرفتى . إنى أعددت لكم فى الجنان مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

(٢) الشافعى العابد الزاهد المتصوف

لقد كان الإمام الشافعى رضى الله عنه ضمن قافلة التوحيد والإيمان . فعبد ربه فى إحسان وزهد فى الدنيا فى صدق . يقول : (من ادعى أنه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها فى قلبه فقد كذب) .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر : ٢٨] .

لقد أحب الشافعى ربه عز وجل وأحب النبى ﷺ ونذر نفسه لخدمة الإسلام والدعوة . حتى أصبح فارسا فى ميدان العلم والعلماء صادقا فى ميدان العبادة والزهد والتصوف .

روى أنه كان يقسم الليل أثلاثا : ثلثا للعلم . وثلثا للعبادة . وثلثا للنوم .

أما يومه فقد كان يقضيه بين العبادة ومدارسة العلم وتدريسه وكتابته وإملائه على تلاميذه وأتباعه . فأحبه الله تعالى وزرع محبته فى قلوب العباد يقول معظما العلى الكبير : (وما حلفت بالله تعالى لا صادقا ولا كاذبا)

وسئل عن مسألة فسكت . فقيل له : ألا تجيب رحمك الله؟

فقال : حتى أرى الفضل فى جوابى أم فى سكوتى . . !!

وكان من إجلاله لله عز وجل أنه كان يعظم القرآن الكريم حفظا وتلاوة وتجويدا وتبصرا فى استخراج أحكامه وتدبرا لمعانيه وغوصا فى بحار أنواره لجمع دره وأصدافه .

روى ابن أبى حاتم فى آدابه والبيهقى فى مناقبه والفخر الرازى فى مناقبه والغزالى فى إحيائه وابن حجر فى توالى التأسيس : أن الإمام الشافعى كان يختم

القرآن مرة فى اليوم والليلة وفى شهر رمضان مرتين فكان إذا أهل شهر رمضان يقول: هيا بنا إلى شهر القرآن. وكان يؤخذ بالقرآن أخذا شديدا وقال - على سبيل المثال - فى سورة العصر «لو لم ينزل من القرآن سوى هذه السورة لكفت».

قال الإمام الغزالى رحمه الله تعالى: التوحيد: أن يرى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته إلى الأسباب والوسائل. فلا يرى الخير والشر إلا منه. ومن ثمرة ذلك: التوصل وترك شكاية الخلق وترك الغضب عليهم والرضا والتسليم لحكم الله تعالى[1] أ.هـ. فهذه المعانى التى ذكرها الإمام الغزالى. كانت هى أيضا رؤية الإمام الشافعى رضى الله عنه فقد كان إيمانه بربه عز وجل إيمان يقين وصدق. فكانت عبادته خالصة لوجه الله تعالى كما كان يعيش راضيا بأمر ربه عز وجل. حسن التوكل عليه حسن الظن بمولاه. يترجم ذلك كله فى هذا التوجه الكريم إلى الرب العظيم.

روى عبد الله بن مروان قال: كان الشافعى. يدعو بهذا الدعاء:

(اللهم امنن علينا بصفاء المعرفة. وهب لنا تصحيح المعاملة فيما بيننا وبينك على السنة وارزقنا صدق التوكل عليك، وحسن الظن بك، وامنن علينا بكل ما يقربنا إليك مقرونا بعوا فى الدارين، برحمتك يا أرحم الراحمين) وكان الشافعى رضى الله عنه يخاف من الله خوفا عظيما وكان يخشاه فى سره وفى علانيته يقول الحارث بن لبيد: أنه سمعه يوما يقرأ قول الله تعالى: ﴿ **هَذَا يَوْمُ لا يَنطِقُونَ * وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ** ﴾ [المرسلات: ٣٥، ٣٦] فتغير وجهه. واقشعر جلده. واضطرب اضطرابا شديدا. وخر مغشيا عليه. فلما أفاق جعل يقول:

(أعوذ بك من مقام الكاذبين وإعراض الغافلين. اللهم خضعت لك قلوب العارفين. وذلت لك رقاب المشتاقين. إلهى هب لى جودك. وجللنى بسترك. واعف عنى تقصيرى بكرم وجهك)[2].

وكان رضى الله عنه على علم بأسرار القلوب وتقلباتها ومعارفها وآفاتها.

---

(١) مفتاح الفلاح لابن عطاء السكندرى: ١٣٩. (٢) الروض الفائق: ١٤٨.

سئل عن الرياء فقال: (الرياء فتنة عقدها الهوي حيال أبصار قلوب العلماء. فنظروا إليها بسوء اختيار النفوس فأحبطت أعمالهم).

وقال أيضا: (إذا أنت خفت على عملك العجب. فانظر من تطلب؟ وفى أى ثواب ترغب؟ ومن اى عقاب ترهب؟ وأى عافية تشكر. وأى بلاء تذكر؟

فإنك إن تذكرت فى واحدة من هذه الخصال. صغر فى عينيك عملك)

فانظر كيف ذكر حقيقة الرياء وكيف بينها. وكيف بين علاج العجب. وهما من كبريات آفات القلوب.

ولما كان خوفه من الله تعالى شديدا. كان كذلك رجاؤه فى الله عز وجل عظيما.

روى أن رجلا قال له: إنى خائف من ذنوبى أن أقدم على ربى وليس لى من عمل غير التوحيد. فقال له الإمام رضى الله عنه:

يامؤمن: لو أراد الله تعالى أن يؤتيك من المسامحة لديه. لما أحالك فى مغفرة الذنوب عليه حيث يقول ﴿وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥] ولو أراد عقوبتك فى جهنم لما ألهمك معرفتك به وتوحيدك له. ثم قال:

إن كنت تغدو فى الذنوب جليدا	وتخاف يوم الميعاد وعيدا
فلقد أتاح من المهيمن عفوه	وأباح من نعم عليك فريدا
لا تيأس من لطف ربك فى الحشى	وبطن أمك مضغة ووليدا
لو شاء الله أن تصلى جهنم خالدا	ما كان ألهم قلبك التوحيدا

فبكى الرجل. وأقبل على العبادة. وفرح بكلامه رضى الله عنه[1].

وقال فى الصدق والإخلاص:

* وددت أن الخلق تعلموا هذا، على أن لا ينسب إلى حرف منه.

(١) المصدر السابق: ١٤٨.

* ما ناظرت أحدا قط على الغلبة . وودت إذا ناظرت أحدا أن يظهر الحق .

* من أراد أن يقضى الله تعالى له بالخير فليحسن الظن بالناس .

* ليس العلم ما حفظ . العلم ما نفع .

* وقال ليونس بن عبد الأعلى : يا أبا موسى : لواجتهدت كل الجهد على أن ترضى الناس كلهم فلا سبيل إليه . فإن كان كذلك فأخلص عملك ونيتك لله عز وجل .

وقال فى الزهد وترك زينة الحياة الدنيا :

* عليك بالزهد . الزهد على الزاهد أحسن من الحلى على الناهد .

* خير الدنيا والآخرة فى خمس خصال : غنى النفس . وكف الأذى . وكسب الحلال ولبس التقوى . والثقة بالله عز وجل على كل حال .

من أحب أن يفتح الله قلبه ويرزقه العلم . فعليه بالخلوة . وقلة الأكل . وترك مخالطة السفهاء . وبعض أهل العلم الذين ليس معهم إنصاف ولا أدب .

* أفضل الأعمال ثلاثة : ذكر الله ومواساة الإخوان . وإنصاف الناس على نفسك، وقال حاثا على طلب العلم النافع . لأن الإسلام دين يقوم على العلم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ . فلا عقيدة صحيحة ولا عبادة مخلصة إلا بعلم تام بأحكام الله تعالى فقال رضى الله عنه (تفقه قبل أن ترأس . فإذا رأست فلا سبيل إلى التفقه) .

أى أطلب العلم والفقه قبل أن يتقدم بك العمر ويذهب الشباب . حتى لا يفوتك الخير الكثير ولا تطلب الرئاسة قبل أن تحصل العلم والفقه لكى تحقق العدل والإنصاف .

وقال ناصحا وموجها : لا يطلب أحد هذا العلم بالملك وعز النفس فيفلح . ولكن من طلبه بذل النفس وضيق العيش وخدمة العلماء أفلح .

لقد شكوت إلى وكيع سوء حفظى ... فأرشدنى إلى ترك المعاصى

وأخبرنى بأن العلم نور ... ونور الله لا يهدى لعاصى

وروى محمد بن عبد الله البكرى قال :

كنت مع الإمام الشافعى رضى الله عنه بشط بغداد . فرأى شابا يتوضأ . ولا يحسن الوضوء فقال له يا غلام : أحسن وضوءك . أحسن الله إليك فى الدنيا والآخرة . ثم مضى . فأسرع الشاب فى وضوئه . ثم لحق الإمام الشافعى . ولم يعرفه . فالتفت إليه الإمام . وقال : هل لك من حاجة؟ قال : نعم . علمنى مما علمك الله . فقال له :

اعلم أن من عرف الله نجا . ومن أشفق على دينه سلم من الردى . ومن زهد فى الدنيا قرت عيناه بما يرى من ثواب الله غدا . أفلا أزيدك؟ قال : بلى . قال :

من كان فيه ثلاث خصال فقد استكمل الإيمان : من أمر بالمعروف وائتمر به . ونهى عن المنكر وانتهى عنه . وحافظ على حدود الله تعالى .

قال : أفلا أزيدك ؟ قال : بلى . قال : كن فى الدنيا زاهدا وفى الآخرة راغبا . واصدق الله تعالى فى جميع أمورك تنج مع الناجين .

ثم مضى . فسأل عنه الشاب . فقيل له : هذا الإمام الشافعى رضى الله عنه[1] أ.هـ.

والسخاء من سمات الصالحين من عباد الله تعالى . لذلك كان النبى ﷺ سخيا جوادًا كريما . وكذلك كل أهل البيت النبوى الكرام . ثم تابعهم صالحو المؤمنين . وكان الشافعى رضى الله عنه لا نظير له فى سخاء من أبناء عصره ومواقفه فى هذا كثيرة . نذكر منها :

روى الربيع بن سليمان عن الإمام الشافعى رضى الله عنه قال :

جاء العيد وما عندى نفقة . فقال لى أهلى : عودت قومك أن تصلهم . فلو استسلفت شيئا . فاستسلفت سبعين دينارا . فتركت عشرين دينارا وفرقت الباقى . فبينا أنا كذلك إذ أتانى رجل من رجال قريش يشكو الحاجة، فأخبرته بخبرى وقدمت إليه العشرين وقلت له : خذ ما تحب . قال : ما ينفعنى إلا أكثر من

---

(١) كتابنا : الإمام الشافعى فقيها ومحدثا : ٢٢٥ (مكتبة وهبة) .

ذلك . فقلت له : خذها فأخذها . وبت وما معى دينار ولا درهم . فبينا أنا فى منزلى . إذ أتانى رجل من قريش وهو رسول من جعفر بن يحيى البرمكى . وقال : أجب . فأجبته . فقال : ما شأنك فى هذه الليلة؟ فإنى كُلّمَا نمت . هتف بى هاتف يقول : الشافعى الشافعى . فأخبرنى عن حالك . فأخبرته . فأعطانى خمسمائة دينار . ثم قال : أزيدك وأعطانى خمسمائة دينار أخرى ثم لم يزل يزيدنى حتى أعطانى ألفى دينار[1] . أ.هـ .

فهذا سخاء الكبار وجود الأولياء، وكرم العلماء وكرامة الصديقين. وإخلاص العابدين فكان عطاء رب العالمين.

﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤] فالله سبحانه وتعالى يكرم أولياءه فى الدنيا ويبشرهم بالكرامة الدالة على صدق الولاية ويبشرهم بالنعيم المقيم فى الدار الآخرة .

ولقد صدق إمامنا الشافعى رضى الله عنه حيث قال :

(إن لم يكن العلماء هم الأولياء . فمن يكونون إذن)

وقال : (من لا يحب العلم فلا خير له . ولا ينبغى أن تكون بينك وبينه معرفة) وقد كان محبا لرسول الله ﷺ . وكان يكثر من الصلاة عليه . وكان يدعو أتباعه للتمسك بسنته (كل حديث صح عن رسول الله ﷺ فإنى أقول به وإن لم يبلغنى) .

وقال : (إذا وجدتم سنة عن رسول الله ﷺ خلاف قولى . فخذوا بالسنة ودعوا قولى . فإنى أقول بها) .

هذا . ويقول الربيع بن سليمان : لما خرج الشافعى إلى مصر وأنا معه . كتب

---

(١) المصدر السابق ٢٢٨ .

كتابا. وقال: يا ربيع. خذ كتابى هذا وامض به إلى أبى عبد الله: أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى - وائتنى بالجواب.

قال الربيع: فدخلت بغداد ومعى الكتاب. فلقيت أحمدبن حنبل فى صلاة الصبح فصليت معه الفجر. فلما انتقل من المحراب. سلمت عليه وناولته الكتاب. وقلت: هذا كتاب أخيك الشافعى من مصر. فقال أحمد: نظرت فيه؟ فقلت: لا.

ففك أحمد الختم وقرأ الكتاب فتغرغرت عيناه بالدموع. فقلت له: أى شئ فيه؟ فقال يذكر فيه: أنه رأى النبى ﷺ فى النوم فقال له: اكتب إلى أبى عبد الله أحمد بن حنبل. واقرأ عليه منى السلام. وقل له: إنك ستمتحن وتدعى إلى القول: بخلق القرآن. فلا تجبهم. فسيرفع الله لك علما إلى يوم القيامة.

قال الربيع: فقلت: البشارة.

فخلع قميصه الذى يلى جلده. فدفعه إلىَّ. فأخذته وخرجت إلى مصر. وأخذت جواب الكتاب وسلمته إلى الشافعى. فقال لى: يا ربيع: أى شئ دفع إليك؟

قلت: القميص الذى يلى جلده. فقال الشافعى: ليس نفجعك به. ولكن بله وادفع إلينا الماء حتى أشركك فيه[1]. وتقول بعض الروايات: إن الشافعى شرب بعضه واغتسل بالباقى، ولنا أن نتساءل: أليس هذا تبركا بالأثر؟ رضى الله عن علمائنا.

وروى أن النبى ﷺ قال (من رآنى فى المنام فقد رآنى حقا. فإن الشيطان لا يتمثل بالأنبياء) [رواه البخارى].

(٣) رأى الشافعى فى طريق التصوف

إن طريق التصوف هو: طريق الكبار وهو منهج الصالحين وأدب السالكين ومعبر أولياء الله الصالحين. إنه طريق الأدب الرفيع والحس العالى، وصدق

(١) كتابى: أحمد بن حنبل: ٢٥٣، ٢٥٤.

الإخلاص . فى مراقبة العلى الكبير . وهو الخلق العظيم فى معاملة الرب العظيم عزوجل .

ودعك من أصحاب تلك الأصوات المنكرة . والألفاظ النابية التافهة التى لا تغنى ولا تسمن من جوع . لأنها صادرة من قلوب فارغة ومن أصحاب عقول كالة . تحب المخالفة وطلب الرياسة وتصطنع الجدل العقيم . لتبعد نفسها عن التعب والتلذذ بمعاملة رب العالمين، لقد قال بضرورة السير على منهج الصالحين كل أئمة الأمة وعلمائها من السابقين واللاحقين ولم ينازع فى هذا إلا متأسلفة هذا العصر من المشبهة والمجسمة نصرة لمن يغدقون عليهم الأموال . فتناولوا الصالحين من أولياء الله تعالى أمواتا وأحياء بسافل الكلام وبذاءة اللسان وظنوا ذلك سلفية . ولكن ذلك شؤم عليهم ووبال .

(من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب) [البخارى]

وإمامنا الشافعى رضى الله عنه كان محبا للقوم ومقتديا بطريقهم . أقنعه بذلك كثرة علومه ومعارفه وأسفاره وواسع خبرته وحسن فهمه وتدبره لمعانى القرآن الكريم والسنة الشريفة .

روى الحاكم والنسائى : أن النبى ﷺ قال :

(حُبِّب إلى من دنياكم ثلاث : الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلاة)

تقول أم المؤمنين عائشة : كان رسول الله ﷺ يجلس معنا يكلمنا ونكلمه . فإذا قام إلى الصلاة . فكأنه لا يعرفنا ولا نعرفه) .

وقال أبو بكر رضى الله عنه : وأنا حبب إلىَّ من دنياكم ثلاث : الجلوس بين يديك – أى رسول الله ﷺ – وإنفاق مالى عليك والصلاة عليك .

روى فى الرياض النضرة قالت السيدة عائشة رضى الله عنها (أنفق أبو بكر على النبى ﷺ أربعين ألفا) .

وقال عمر رضى الله عنه : وأنا حُبب إلىَّ من دنياكم ثلاث : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإقامة الحدود .

وقال عثمان رضى الله عنه : وأنا حبب إلى من دنياكم ثلاث : إطعام الطعام وإفشاء السلام والصلاة بالليل والناس نيام .

وقال على كرم الله وجهه . وأنا حبب إلى من دنياكم ثلاث : الضرب بالسيف وإقراء الضيف والصوم بالصيف .

فنزل جبريل عليه السلام وقال : يا نبى ﷺ : وأنا حبب إلى من دنياكم ثلاث : النزول على النبيين وتبليغ الرسالة للمرسلين . والحمد لله رب العالمين .

ثم قال : إن الله تعالى يقول : وأنا حبب إلى من دنياكم ثلاث :

لسان ذاكر وقلب شاكر . وجسد على البلاء صابر .

فالعمل بهذا كله من علامات المحبة لمن أراد الدخول فى قوله ﷺ : (من أحبنى كان معى في الجنة) .

ثم قال : ولما وصل هذا الحديث إلى الأئمة الأربعة .

قال الإمام أبو حنيفة رضى الله عنه وأنا حبب إلى من دنياكم ثلاث : تحصيل العلم فى طول الليالى ، وترك الترفع والتعالى . وقلب من حب الدنيا خالى .

وقال الإمام مالك رضى الله عنه . وأنا حبيب إلى من دنياكم ثلاث : مجاورة روضته ﷺ . وملازمة تربيته . وتعظيم أهل بيته .

وقال الإمام الشافعى رضى الله عنه : وأنا حبب إلى من دنياكم ثلاث : الخلق بالتلطف وترك ما يؤدى إلى التكلف . والاقتداء بطريق التصوف .

وقال الإمام أحمد رضى الله عنه : وأنا حبب إلى من دنياكم ثلاث : متابعة النبى ﷺ فى أخباره . والتبرك بأنواره . وسلوك طريق آثاره[١] . أ . هـ .

وأنشد رضى الله عنه يقول[٢] :

فقيها وصفيا فكن ليس واحدا ... فإنى وحق الله إياك أنصح

فذلك قاس . لم يذق قلبه تقى ... وهذا جهول . كيف ذو الجهل يصلح

---

(١) نزهة المجالس : ٧٧ ، ٧٨ . (٢) من ديوانه رضى الله عنه .

فلابد للصوفى أن يتفقه ولابد للفقيه ان يتصوف . كما قال شيخه الإمام مالك رضى الله عنه (من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق . ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق) .

رحم الله الشافعى فلقد كان يأخذ بطريق التصوف قولا وفعلا . قال به وسلك طريقه فلا قول لزاعق ولا لناعق . وأختم هذه الفقرة بدعاء للشافعى رضى الله عنه قال :

(اللهم إنى أعوذ بنور قد سك . وعظمة طهارتك . وبركة جلالك من كل آفة وعاهة وطارق من الإنس والجن إلا طارقا يطرق بخير . اللهم أنت عياذى فبك أعوذ . وأنت ملاذى فبك ألوذ يا من ذلت له رقاب الجبابرة . وخضعت له أعناق الفراعنة . أعوذ بجلالك وكرمك من خزيك وكشف سترك ونسيان ذكرك . والانصراف عن شكرك . أنا فى كنفك ليلى ونهارى ونومى وقرارى وظعنى وأسفارى . ذكرك شعارى . وثناؤك دثارى . لا إله إلا أنت تنزيها لأسمائك . وتكريما لسبحات وجهك : أجرنى من خزيك ومن شر عبادك وقنى سيئات مكرك . واضرب علىَّ سرادقات حفظك . وادخلنى فى حفظ عنايتك . يا أرحم الراحمين) . اللهم آمين .

وصدق الله العظيم : ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ [فاطر : ٢٨] .

(١٢) السلفية مرحلة مباركة فى تاريخ الأمة وليست مذهبا إسلاميا

السلف : هم . الجماعة المتقدمون من الناس . فهم سلف لمن يأتى من بعدهم ، قال الله تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ﴾ [الزخرف : ٥٦] .

قال الفراء : يقول : جعلناهم سلفا متقدمين ليتعظ بهم الآخرون .

وقال الجوهرى : وسلف الرجل . آباؤه المتقدمون . والجمع أسلاف وسلاف وقال ابن منظور : - بعد أن ذكر بعض معانى السلف - وللسلف معنينا آخران أحدهما : أن كل شئ قدمه العبد من عمل صالح أو ولد فرط يقدمه . فهو له سلف وثانيهما : والسلف أيضا من تقدمك فى الحسن والفضل وأحدهم سالف ومنه قول طفيل الغنوى يرثى قومه :

مضوا سلفا قصد السبيل عليهم   وصرف المنايا بالرجال تقلب

أراد : أنهم تقدمونا . وقصد سبيلنا عليهم . أى نموت كما ماتوا . فنكون سلفا لمن بعدنا كما كانوا سلفا لنا . وفى الدعاء : واجعله سلفا لنا .

ثم قال : وقيل : سلف الإنسان من تقدمه بالموت من آبائه وذوى قرابته . ولهذا سمى الصدر الأول من التابعين : السلف الصالح . أ .هـ. لسان العرب .

وهذا يعنى أن سلف الأمة : هم من تقدموا من أصحاب القرون الماضية وأصبحوا أثرا بعد عين .

هذا إذا وردت كلمة (السلف) غير مقيدة بوصف ما أو غيره .

أما إذا وردت مقيدة فهى تعطى معنى خاصا فلفظ « السلف الصالح » يطلق ويراد به أولئك الذين تقدموا وسبقونا من أصحاب القرون الماضية الذين عاشوا

حياتهم متمسكين بكتاب الله تعالى . وعاملين بسنة نبيه ﷺ اعتقادا وعملا وعلما ومنهاجا وسلوكا وأدبا .

وباختصارهم : من كانوا على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم فليس من السلف الصالح كل من أفرط أو فرط فى الأخذ والعمل بأحكام الله تعالى فى الكتاب والسنة . لأن الأول : مغالى . والثانى : مضيع . وكلاهما شر وانحراف عن طريق السلف الصالح رضى الله عنهم .

ينتمى إليهما : أصحاب البدع والأهواء من الخوارج والشيعة والمعتزلة والجهمية والقدرية والقرامطة . وكل من سلك طريقهم .

ومسيرة أهل السنة على مدى تاريخ الإسلام المجيد تأخذ طريق السلف الصالح منهجا لها تحاول الالتزام به ما أمكن . لأنه طريق الحق والهدى ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

لأنه طريق العدل الذى لا يميل ناحية اليمين أو ناحية اليسار فيحصل التطرف ويقع الانحراف . فيكون الضلال والإضلال .

وقد واجهت مسيرة أهل السنة . حركات فكرية مضادة عديدة وتعرضت لضغوط كثيرة وكانت هى دائما المنتصرة[١] . ﴿ **إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** ﴾ [محمد : ٧] إن السلف الصالح هم أصحاب القرون الأولى . الذين جاهدوا فى الله حق جهاده ورفعوا رايات الإسلام عالية خفاقة . وبذلوا الجهود المضنية فى جمع القرآن فى مصحف واحد من صدور الرجال ومن صحفهم ودونوا السنة الشريفة بعد ما تناولوها بالنقد والفحص ودونوا العلم بجميع فروعه محافظين بذلك على كل وثائق الشريعة الإسلامية وفوق ذلك كله . كانوا عبادا زهادا أولياء لله تعالى . الذين عبدوه بصدق وحرص وإخلاص وأقاموا حدود الله وشرائعه .

---

(١) راجع كتابنا : قضايا إسلامية معاصرة : ١٧ ، ١٨ .

إنهم الخيرة من أبناء الإسلام. وهم العظماء فى تاريخ أتباع الأديان. كانوا رهبانا فى الليل وفرسانا فى النهار. كما كانوا علماء عاملين وفقهاء فاهمين.

قال الله تعالى فيهم ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقر: ٢٨٥]

وروى في الصحيح قال رسول الله ﷺ: (خير القرون قرنى. ثم الذين يلونهم. ثم الذين يلونهم).

لقد كان إجلالهم لله عظيما، ومحبتهم لرسول الله ﷺ شديدة. كما كان نظرهم فى القرآن تدبرا وعبرة وإيمانا وتصديقا. يعتصمون به لأنه حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض. ويتعاملون معه بكل الإعزاز والإجلال والإكبار لأنه كلام الله تعالى المقدس. فكانوا مؤدبين معه. ينهلون من معينه بغير فلسفة أو فذلكة ولم يشبهوا ولم يجسدوا ولم يحددوا لله مكانا أو جهة. ولم يمثلوا أو يكيفوا أو يعطلوا لله صفة. ولم يثبتوا لله تعالى إلا ما أثبته لنفسه فى كتابه أوورد فى سنة نبيه ﷺ. فقد كانوا يؤمنون بما ورد عن الله عز وجل على مراد الله تعالى. كما كانوا يؤمنون بما ورد عن رسول الله ﷺ على مراد رسول الله ﷺ ونفوا عنه ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسول الله ﷺ.

لقد كانوا يقدرون حقا. الفارق بين الخالق والمخلوق. فإذا تحدث أحدهم عن الله تعالى كان حديثه. حديث المؤمن المتقى العابد الخاضع الخاشع الذى يرجو رحمة ربه ويبتغى فضله وقد خلف من بعدهم خلف تأثروا بالفلسفة وأفكار البشر وأغرتهم الدنيا بزينتها وطلبوا أبواب السلاطين والخلفاء. فصدر من بعضهم أقوال على الله تعالى بغير علم أو انتصارا لمبدأ أو لفكرة. فظهر فى حياة الأمة الإسلامية علم الجدال والكلام وما سمى بالفلسفة الإسلامية. وتأثر المنتسبون لهما بما وفد على المسلمين من فلسفة اليونانيين والهنود والصينيين وأفكار الفرس وخزعبلات الوثنيين وتشبيهات وتلبيسات اليهود وظهرت الفرق الإسلامية

المختلفة جلها خبيث وبعضها طيب فى بعض الأمور وليس فى كلها. وهاجت الدنيا وماجت فأفكار وافدة تعهدها بعض الخبثاء. فكانت الطامة الكبرى. فظهرت البدع والأهواء والمنكرات على أيدى الشيعة والخوارج والمعتزلة والقدرية والجهمية والمشبهة والمجسمة من علماء الحنابلة.

فكان القول بالتشبيه والتجسيم والتحديد أو التعطيل أو التأويل المفرط الذي لا تراعى فيه قواعد اللغة ولا مبادئ الشريعة وقواعدها. وانتشر الجدل بين الناس فى كل مكان. وظلت الفئة المؤمنة المخلصة تدفع عن الإسلام قول هذا وذاك وما زالت - ودائما - بحول الله وقوته - الحق يعلو ولا يعلى عليه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر:٩]

وظل حال الفكر العقدى فى الأمة الإسلامية هكذا باتجاهاته المختلفة حتى كان مؤسس السلفية المعاصرة الذى سلك مسلك أسلافه من مشبهة الحنابلة وتبعه بعض تلاميذه. وخرج عليه آخرون ورفضوه منهم الحافظ الذهبى وابن كثير وغيرهما حتى أن الذهبى أرسل إليه يطلب منه أن يتوب ويعود إلى حظيرة علماء أهل السنة متخليا عن أفكاره وخبائثه. ولكن الشيخ استمر فى طريقه وكون مدرسة تؤمن بفكره وتأخذ بآرائه منخدعين بأسلوبه ومقدرته على الكلام بأسلوب اللف والدوران. وأطلقوا على أنفسهم «السلفيون أو أهل السنة والجماعة. أو أهل التوحيد».

وتلك هى بعض مظاهر هذه المدرسة المتأسلفة.

أولا: يقولون بالتشبيه والتجسيم والجهة: وكتبهم ومصنفاتهم وأحاديثهم طافحة بذلك بكل صراحة وبلا مواربة. ويدلسون على الأمة بأقوالهم هذه بلا حياء من الله تعالى. ويخطئون أهل التفويض ويتهمونهم بالابتداع والإلحاد. والمفوضة فريق من السلف يؤمنون بما جاء عن الله على مراد الله وبما جاء عن رسول الله ﷺ على مراد رسول الله ولا يقحمون أنفسهم فى أمر قد يودى بهم إلى الهلكة: فرأوا فى التفويض سلامتهم. فكيف يلومهم ويخطئهم ابن تيمية فى

كتابه (الموافقة)(١) ويرى أن التفويض من شر أقوال أهل البدع والإلحاد فقال : (فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد) . يا سبحان الله أيكون علماء السلف الصالح ملحدين عند ابن تيمية لمجرد أنه يختلف عنهم فى الرأى؟

ويزيد هذا الأمر وضوحا تلميذه فيقول مؤكدا على صحة رأى شيخه :

(أى يجتهدون ويهتمون لفهم المعنى المراد من القرآن . عند محكمه . ويهلكون عند متشابهه لأنهم لا يهتمون لفهم معناه الحقيقى مع التنزيه ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [الشورى : ١١] يصرفهم عن ذلك التأويل أو التفويض)(٢) .

أما يعلم ابن القيم أن الله تعالى قال فى كتابه العظيم ﴿ **هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ * رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ** ﴾ [آل عمران : ٧ ، ٨]

فالصحابة والتابعون رغم تفسيرهم للقرآن . إلا أنهم قد فوضوا إلى الله العلم بحقائق الصفات . خوفا وفهما مما أنزله ربنا فى هاتين الآيتين .

لقد نزه الله سبحانه وتعالى : ذاته وصفاته عن الشبيه والنظير فقال تعالى : ﴿ **سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾ [الصافات : ١٨٠] وقوله ﴿ **لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ [الأنعام : ١٠٣] وقوله ﴿ **وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا** ﴾ [طه : ١١٠] .

ولكن هؤلاء المشبهة سلكوا مسلكا غريبا خالفوا به سلف الأمة وعلماءها

---

(١) على هامش منهاج السنة ١ / ١٨٠ لابن تيمية .

(٢) أنظر المقدمات التى كتبها الشيخ حسن السقاف لكتاب دفع شبه التشبيه لابن الجوزى ص : ٢٤ .

فمن ذلك : ما أخبريه شيخ الإسلام : أبو الحسن على بن إسماعيل الغونوى الدمشقى فى صحن الجامع الأموى عن أبيه . قال : كنا جلوسا فى مجلس ابن تيمية فذكر ووعظ وتعرض لآيات الاستواء. ثم قال : (واستوى الله على عرشه كاستوائى هذا) .

قال : فوثب الناس إليه وثبة واحدة . وأنزلوه من الكرسى وبادروا إليه ضربا باللكم والنعال وغير ذلك . حتى أوصلوه إلى بعض الحكام . واجتمع فى ذلك المجلس العلماء فشرع يناظرهم(١) . أ.هـ . وذكر أبو حيان النحوى الأندلسى فى تفسيره المسمى بالنهر فى قوله تعالى : ﴿ وسع كرسيه السموات والأرض ﴾ [البقر : ٢٥٥] ما صورته : وقرأت فى كتاب لأحمد بن تيمية هذا الذى عاصرنا . وهو بخطه سماه (كتاب العرش) : إن الله يجلس على الكرسى . وقد أخلى منه مكانا يقعد معه فيه رسول الله ﷺ . تحيل عليه : التاج محمد بن على بن عبد الحق البار نبارى : وكان أظهرأنه داعية له حتى أخذه منه وقرأنا ذلك فيه(٢) .أ.هـ.

ويقول الشيخ محمد زاهد الكوثرى فى تعليقه على السيف الصقيل ما نصه :

(وقد أخبرنى مصحح طبعه (أى تفسير أبو حيان) بمطبعة السعادة أنه استفظعها جدا فحذفها عند الطبع لئلا يستغلها أعداء الدين، ورجانى أن أسجل ذلك هنا استدراكا لما كان منه ونصيحة للمسلمين . أ.هـ.

وقال ابن تيمية فى الرسالة الحموية ١٢١ / ١٢٢ (ومن قول أهل السنة . أن الكرسى بين يدى العرش وأنه موضع القدمين أ . هـ .

وقال أيضا فى ص ١٩٤ ما نصه :

إن القرآن والسنن المستفيضة المتواترة وكلام السابقين والتابعين بل وسائر القرون الثلاثة . مملوء بما فيه إثبات العلو لله على عرشه بأنواع من الدلالات .أ.هـ.

وفى كتاب منهاج السنة . وجه نقدا لاذعا للإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه . وهاجمه هجوما ووصفه بانه : خالف نص الكتاب فى سبعة عشر موضعا ووصفه بالضعف وأنه قاتل قتالا ليس مأمورا به ولا واجبا ولا مستحبا [راجع فى هذا كتابه منهاج السنة وكتاب الدرر الكامنة لابن حجر العسقلانى] .

ويقول أحدهم : فى كتابه (مباحث العقيدة فى سورة الزمر)(٣) : (إثبات

---

(١) التوفيق الربانى : ١١، ١٢ . (٢) المصدر السابق ص ٢١ .

(٣) ناصر بن على عايض حسن الشيخ (الفصل الأول . مبحث١ ، مبحث٢) .

صفة العلو والفوقية) إن أول ما افتتحت به [سورة الزمر] هو إثبات صفة العلو والفوقية – للبارى جل وعلا – وذلك فى خمس آيات منها :

قال تعالى : ﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴾ [الزمر : ١ ، ٢] .

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر : ٢٣] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ [الزمر : ٤١]

وقال تعالى : ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الزمر : ٥٥]

ففى هذه الآيات الخمس . دلالة واضحة على إثبات علو الله – تعالى – وأنه فوق المخلوقات جميعها لأن نزول الشئ يكون من أعلى إلى أسفل .

ثم يقول : وقد وردت آيات كثيرة في الكتاب العزيز كلها تدل دلالة قطعية على إثبات علوه – تعالى – على خلقه وأنه ليس تحت الأرض ولا فى كل مكان كما يزعم ذلك أهل الزيغ والباطل ثم يقول : وبالجملة فظاهر القرآن يدل على إثبات علو الله – تبارك وتعالى – وأنه على عرشه الذى هو أعلى المخلوقات . وهو – سبحانه – بائن من خلقه . ويغنينا فى ذلك التنزيل ولا حاجة لنا إلى تأويل المكذبين به فى أنفسهم ويتسترون عن ذلك باسم التأويل . وليس هو تأويلا وإنما هو تحريف وتعطيل وتبديل . أ.هـ .

ومما يستدل به هؤلاء المشبهة المجسمة ما رووه فى كتبهم من حديث أنس رضى الله عنه . فقد روى علماؤهم فى كتبهم النص التالى :

ما رواه البخارى فى صحيحه من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال :

جاء زيد بن حارثة يشكو فجعل النبى ﷺ يقول: اتق الله وأمسك عليك زوجك قال أنس: لو كان رسول الله ﷺ كاتما شيئا لكتم هذه. قال: فكانت زينب تفخر عل أزواج النبى ﷺ وتقول: زوجكن أهاليكن وزوجنى الله تعالى من فوق سبع سموات».

ويعلق صاحب مباحث العقيدة فى سورة الزمر ص ٣٩ فيقول: وهذا دليل واضح وصريح فى أن الله – تعالى – عال فوق سمواته وعلى جميع مخلوقاته وعلى هذا تلقت أم المؤمنين زينب رضى الله عنها عقيدتها من النبى ﷺ . أ.هـ.

إنهم جميعا يكذبون على الإمام البخارى رضي الله عنه فإن جملة (وزوجنى الله من فوق سبع سموات) أو أنها قالت للنبى ﷺ (زوجنيك الرحمن من فوق عرشه).

فقول زينب رضى آلله عنها والذى ينسبونه لها ليس فى رواية البخارى.

قال ابن حجر فى الفتح ١٣ / ٣٤٨ إن هذه العبارة من مرسل الشعبى. وقال أخرجه الطبرى وأبو القاسم الطحاوى فى كتاب الحجة والتبيان له ولا قيمة للمرسل لأنه من أقسام الضعيف فكيف تثبت به العقيدة.

وقد روى ابن جرير الطبرى الحديث في التفسير ٢٢ / ١٤ أن السيدة زينب قالت: (أنا التى نزل تزويجى).

ومعنى قول السيدة زينب رضي الله عنها أن الله أنزل تزويجها فى قرآن يتلى وليس كما يتخيل المشبهة.

وأما حديث الجارية وهو مما يستدلون به. فهو:

روى مسلم فى أفراده من حديث معاوية بن الحكم قال: كانت لى جارية ترعى غنما لى. فانطلقت ذات يوم. فإذا الذئب قد ذهب بشاة. وأنا من بنى آدم آسف كما يأسفون فصككتها صكة. فاتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك علىّ. فقلت: ألا أعتقها؟

قال: ائتنى بها.

فأتيته بها: فقال لها: «أين الله؟».

قالت: فى السماء.

قال: من أنا.

قالت: أنت رسول الله.

قال: «اعتقها فإنها مؤمنة».

فهذه الرواية دائما يرددونها. وأظن أن هذه الرواية بها شذوذ لأمرين:

الأول: أخرج أحمد فى (المسند: ٣/ ٤٥٢):

«أتشهدين أن لا إله إلا الله؟ قالت: نعم.

قال: «أتشهدين أنى رسول الله؟ قالت: نعم. قال: أتؤمنين بالبعث بعد الموت؟ قالت: نعم قال: (فأعتقها) وقال الهيثمى: رجاله رجال الصحيح وصححه عبد الرزاق والبيهقى والطبرانى وغيرهم.

الثانى: لا يجوز شرعا السؤال عن الله تعالى بأين، قال ابن حجر فى الفتح (١/ ٢٢٠): إن إدراك العقول لأسرار الربوبية قاصر فلا يتوجه على حكمه: لِمَ ولا كيف. كما لا يتوجه عليه فى وجوده: أين وحيث. أ.هـ.

فهذه مجرد أمثلة تثبت أن دعاة السلفية المعاصرة هم امتداد لأسلافهم من المشبهة المجسمة: ابن الزاغونى وأبو يعلى وأبو عبد الله ابن حامد من الحنابلة.

وبكل أسف انتشر هذا الفكر الخبيث بين شبابنا بواسطة أشرطة التسجيل والرسائل الصغيرة التى يوزع أكثرها مجانا. وبعض الناس يقوم بطباعة هذه الكتب والرسائل فى طباعة جيدة وتغليف ممتاز ويروجونها فى بلادنا بسعر رخيص وبعضها توزع هبة وأنا لى تجربة. فقد كتبت كتابا عن أحد أعلامهم. وبعد الفراغ من تسطيره حاولت تأصيل الروايات الواردة فيه والتى نقلتها من كتبهم فوجدت فيها تحريفا كثيرا وتقديم أحاديث ضعيفة على أحاديث صحيحة لأنها تخدم اتجاهاتهم. فكان قرارى بعد هذا الجهد أن حبست هذا الكتاب

وامتنعت عن طبعة رغم الإغراءات التى عرضت على . أرجو الله لى ولهم الهداية والتوفيق لسلوك الطريق القويم والطراط المستقيم .

ثانيا : الحكم بالكفر أو الشرك أو الإلحاد على كل من خالفهم أفرادا وجماعات .

إنهم يسارعون إلى الحكم على المسلم بالكفر والإلحاد لمجرد المخالفة . حتى أنه لم يبق مسلم على وجه الأرض مسلما . إلا النفر القليل . وطبعا هم النفر القليل .

إن تكفير الناس لهو أمر خطير أزعج العلماء فى كل مكان . يقول الإمام أحمد بن حنبل فى عقيدة أهل السنة (ولا نكفر أحدا من أهل القبلة وهو رأى السلف الصالح جميعا وقال العلامة الإمام السيد أحمد مشهور الحداد : وقد انعقد الإجماع على منع تكفير أحد من أهل القبلة إلا بما فيه نفى الصانع القادر جل وعلا . أو شرك جلى لا يحتمل التأويل أو إنكار النبوة أو إنكار ما علم من الدين بالضرورة أو إنكار متواتر أو مجمع عليه ضرورة من الدين . والمعلوم من الدين ضرورة كالتوحيد والنبوات وختم الرسالة بمحمد ﷺ . والبعث فى اليوم الآخر والحساب والجزاء والجنة والنار . يكفر جاحده ولا يعذر أحد من المسلمين بالجهل به إلا من كان حديث عهد فى الإسلام فإنه يعذر إلى أن يتعلمه فإنه لا يعذر بعده . أ.هـ .

روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ :

« إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما » .

وأخرج أبو داود عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاث من أصل الإيمان : الكف عمن قال : لا إله إلا الله لا نكفره بذنب ولا نخرجه عن الإسلام بالعمل . والجهاد ماض منذ بعثنى الله إلى أن يقاتل آخر أمتى الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل . والإيمان بالأقدار » .

وقال إمام الحرمين رحمه الله : لو قيل لنا : فصلوا ما يقتضى التكفير من العبارات مما لا يقتضى لقلنا : هذا طمع فى غير مطمع فإن هذا بعيد المدرك وعر المسلك يستمد من أصول التوحيد . ومن لم يحظ بنهايات الحقائق لم يتحصل من دلائل التكفير على وثائق .أ.هـ فلا يجوز لأحد مهما بلغ علمه أن يكفر مسلما بذنب ارتكبه – صغيرا كان أو كبيرا – وإذا رأينا من المسلم ما ننكره . فلنظن به خيرا . ويستفسر منه أهل العلم من الفضلاء عن سبب فعله أو قوله . لأنه ربما يكون مقلدا للغير بلا فهم . أو متأولا . أو لم يفهم ما قرأه فهما صحيحا فللعلماء أن يناقشوه ليتبينوا حقيقة أمره ثم يرشدونه بالحكمة والموعظة الحسنة ذكروا للنبى ﷺ شابا يصلى خلفه إلا أنه يأتى بعض المعاصى فقال لهم : (دعوه فإن صلاته ستمنعه) .

وقال الإمام أبو حنيفة رضى الله عنه : (التمس لأخيك سبعين عذرا ثم اتهم نفسك) .

وروى الإمام السبكى فى طبقاته قال :

قال الشافعى : يا أحمد أتقول إن تارك الصلاة مطلقا يكفر؟

قال : نعم . قال : إذا كان يكفر فبم يسلم؟

قال : يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

قال الشافعى : فالرجل مستديم لهذا القول ولم يتركه .

قال : يسلم بأن يصلى .

قال الشافعى : صلاة الكافر لا تصح ولا يحكم له بالإسلام بها .

فسكت الإمام أحمد رحمهما الله تعالى .

وأظن أنه قد رجع عن قوله بدليل أنه وردت عنه روايتان فى الحكم على تارك الصلاة .

الأولى: يكفر بترك الصلاة مطلقا. وهذا الرأى ما ناظره عليه الشافعى رضى الله عنه.

والثانية: قال بقول الجمهور: إن تركها كسلا فهو مؤمن عاصى يستتاب وإن تركها جاحدا لمشروعيتها يستتاب وإلا حكم بردته والعياذ بالله ولكن اتباعه يتركون الرأى الثانى ويتمسكون بالأول رغم أن الثانى عدول عن الأول وروى ابن الجوزى فى مناقب الإمام أحمد قوله: (ولا يكفر أحد من أهل التوحيد وإن عملوا الكبائر).

وقد أشاع بعضهم أن الإمام الأشعرى وجماعته (أهل السنة) يكفرون بعموم النصوص فرد عليهم القشيرى فى رسالته (شكاية أهل السنة) فكان مما قال:

وأما ما قالوه: إن الأشعرى يقول بتكفير العوام فهو أيضا كذب وزور. وقصد من ينعت بذلك تحريش الجهلة والذين لا تحصيل عليه كعادة من لا تحصيل له فى تقوله بما لا أصل له. وهذا أيضا من تدليسات الكرامية على العوام. ومن لا تحصيل لهم. ومثل هذا هو ما يحدث بيننا الآن والله المستعان.

وقد نفى الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن نفسه القول بتكفير العوام فقال:

وأما التكفير . فانا أكفر من عرف دين الرسول. ثم بعدما عرفه. سبه ونهى الناس عنه وعاداه وأكثر الأمة والحمد لله ليس كذلك.

وقال أيضا: ولا أكفر أحدا من المسلمين بذنبه ولا أخرجه من دائرة الإسلام .أ.هـ

وأسوق لكل أولئك الذين يشكون فى إيمان الناس ويظنون بهم سوءا ويكفرونهم بارتكاب إثم أو ذنب أو لمجرد المخالفة فى الرأى كهؤلاء الذين يكفرون

الأشاعرة فى قضية الصفات ويسمونهم (الجهمية) وهؤلاء الذى يصفون المتصوفة بالزندقة ويحكمون على زوار أضرحة الأنبياء والصالحين بالشرك والضلال . ويحرمون السفر لزيارة النبى ﷺ ويقولون إنه سفر معصية ولا يجوز فيه قصر الصلاة وهم واهمون لقصور عقولهم ولمعاندتهم فى معنى حديث : (لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد) فلقد فسروا الحديث حسب أهوائهم وقالوا إنه يشمل النهى عن زيارة القبور وقد بينا مرامى الحديث وما يتناوله من أحكام فى كتابنا (قضايا إسلامية معاصرة) .

أسوق لكل هؤلاء وأولئك ما رواه الإمام الشعرانى فى طبقاته . قال :

وسئل سيدنا ومولانا شيخ الإسلام تقى الدين السبكى رحمه الله تعالى عن حكم تكفير غلاة المبتدعة وأهل الاهواء والمتفوهين على الذات المقدس . فقال رضى الله عنه : اعلم أيها السائل : أن كل من خاف الله عز وجل استعظم القول بالتكفير لمن قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله . إن التكفير أمر هائل عظيم الخطر لأن من كفر شخصا بعينه . فكأنه أخبر أن عاقبته فى الآخرة الخلود فى النار أبد الآبدين وإنه فى الدنيا مباح الدم والمال . لا يمكن من نكاح مسلمة . ولا يجرى عليه أحكام المسلمين لا فى حياته ولا بعد مماته . والخطأ فى ترك ألف كافر أهون من الخطأ فى سفك محجمة من دم امرئ مسلم وفى الحديث : « لأن يخطئ الإمام فى العفو أحب من أن يخطئ فى العقوبة » .

ثم إن تلك المسائل التى يفتى فيها بتكفير هؤلاء القوم – أئمة المتصوفة كابن عربى وخلافه – فى غاية الدقة والغموض – لكثرة شبهها واختلاف قرائنها . وتفاوت دواعيها . والاستقصاء فى معرفة الخطأ من سائر صنوف وجوهه والإطلاع على حقائق التأويل وشرائطه فى الأماكن . ومعرفة الألفاظ المحتملة للتأويل وغير المحتملة وذلك يستدعى معرفة جميع طرق أهل اللسان من سائر قبائل العرب فى حقائقها ومجازاتها واستعاراتها . ومعرفة دقائق التوحيد وغوامضه إلى غير ذلك

مما هو متعذر جدا على أكابر علماء عصرنا فضلا عن غيرهم. وإذا كان الإنسان يعجز عن تحرير معتقده فى عبارة. فكيف يحرر اعتقاد غيره من عبارته. فما بقى الحكم بالتكفير إلا لمن صرح بالكفر واختاره دينا وجحد الشهادتين. وخرج عن دين الإسلام جملة. وهذا نادر وقوعه فالأدب الوقوف عن تكفير أهل الأهواء والبدع والتسليم للقوم - الصوفية - فى كل شئ قالوه مما يخالف صريح النصوص. أ. هـ السبكى.

ثم يقول الشعرانى: وقد أخبرنى شيخنا الشيخ أمين الدين إمام جامع الغمرى بمصر المحروسة أن شخصا وقع فى عبارة موهمه للتكفير. فافتى علماء مصر بتكفيره. فلما أرادوا قتله. قال السلطان جقمق: هل بقى أحد من العلماء لم يحضر؟ فقالوا: نعم الشيخ جلال الدين المحلى شارح المنهاج. فأرسل وراءه. فحضر. فوجد الرجل فى الحديد بين يدى السلطان. فقال الشيخ: ما لهذا؟ فقالوا: كفر. فقال: ما مستند من أفتى بتكفيره؟ فبادر الشيخ صالح البلقينى. وقال: قد أفتى والدى شيخ الإسلام الشيخ سراج الدين فى مثل ذلك بالتكفير.

فقال الشيخ جلال الدين رضى الله عنه: يا ولدى أتريد أن تقتل رجلا مسلما موحدا يحب الله ورسوله. بفتوى أبيك. خلو عنه الحديد. فجردوه. وأخذه الشيخ جلال الدين بيده وخرج - والسلطان ينظر. فما تجرأ أحد يتبعه رضى الله عنه. أ. هـ

وأقول: إنهم العلماء والأئمة الذين علموا فعملوا فأنار الله قلوبهم بأنوار حبه.

ألا نتعلم منهم أدب الفتوى. حتى لا نحكم على الناس بماليس فيهم.

إننا نرى ونسمع هؤلاء الصبية وهم يحكمون على الناس بالكفر والشرك والابتداع والفسق وهم - بكل أسف - لا يعلمون معنى هذه الكلمات ولا

يدركون حقائقها ولربما يحكم أحدهم على والديه - وهو كثير - بالكفر والمروق من الدين. وأبواه وليان لله تعالى. فماذا هو قائل لله عز وجل فى يوم العرض عليه؟

يقول الأستاذ الدكتور طه جابر فياض العلوانى أستاذ الفقه وأصوله فى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سابقا [1]:

بدأنا نرى شبابا ينتسبون إلى السلفية. وآخرين ينتسبون إلى أهل الحديث وفريقا ينتسبون إلى المذهبية وآخرين يدعون اللامذهبية. وبين هؤلاء وأولئك تتبادل الاتهامات المختلفة من التكفير والتفسيق والنسبة إلى البدعة والانحراف والعمالة والتجسس ونحو ذلك مما لا يليق بمسلم أن ينسب أخاه إليه بحال فضلا عن أن يعلنه للناس بكل ما لديه من وسائل غافلين أو متغافلين عن أن ما يتعرض له الإسلام من محاولات استئصال أخطر على الأمة من تلك الاختلافات.

ويقول السيد محمد بن علوى الحسنى المالكى المكى [2]. بارك الله فيه

لقد ابتلينا بجماعة تخصصت فى توزيع الكفر والشرك وإصدار الأحكام بالقاب وأوصاف لا يصح ولا يليق أن تطلق على مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. كقول بعضهم فيمن يختلف فى الرأى والمذهب معه مخرف.. دجال.. مشعوذ.. مبتدع. وفى النهاية مشرك وكافر. ولقد سمعنا كثيرا من السفهاء الذين ينسبون أنفسهم إلى العقيدة يكيلون مثل هذه الألفاظ جزافا ويزيد بعض جهلتهم بقوله: داعية الشرك والضلال فى هذه الأزمان. ومجدد ملة عمرو بن لحىّ المدعو بفلان هكذا نسمع بعض السفهاء يكيل مثل هذا السب والشتم. وبمثل هذه الألفاظ القبيحة التى لا تصدر إلا عن السوقة الذين لم يجيدوا أسلوب الدعوة وطريقة الأدب فى النقاش.

---

(١) التحذير من المجازفة بالتكفير: ٦-٩.

(٢) التحذير من المجازفة بالتكفير: ٦-٩.

هكذا تأتى هذه الألفاظ متتابعة ومتتالية . وهكذا نسمعها بنغمة واحدة وفى موطن واحد وفى منبع واحد .أ.هـ.

وأقول لهؤلاء وأولئك : سئل الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه عن المخالفين له من الفرق . أكفارهم؟ قال : لا . إنهم من الكفر فروا .

فقيل : أمنا فقون هم؟ فقال : لا . إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا وهؤلاء يذكرون الله كثيرا .

فقيل : أى شئ هم؟

قال : قوم أصابتهم الفتنة فعموا وصموا .أ.هـ.

ألا ينظر بنى وطنى فى هذا القول لعلهم يفقهون؟

ثالثا : نبذ العلماء وتجهيل الأئمة :

وهذا الموضوع خطير . استهدفوا منه انصراف المسلمين وخاصة الشباب عن علمائهم وبث بذور الخلاف والفرقة بين المسلمين . فقاموا بتوزيع الاتهامات على العلماء لكى يفقدوا الثقة بهم .

فريق منهم — وهم كثرة — يقولون بحرمة اتباع الأئمة الأربعة وتسفيه أتباعهم واحتقارهم لأنهم مقلدون للأئمة . ومذاهب الأئمة أديان أخرى غير شريعة النبى ﷺ . وهذا منهم جهل فاضح يعبر عن حقد دفين يملأ كتب بعض أساطينهم . ككتاب « الإقليد للأسماء والصفات والاجتهاد والتقليد » للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجنكى الشنقيطى صاحب أضواء البيان فى تفسير القرآن . وكتاب الإقليد قائم على الدعوة إلى إبطال الأخذ عن الأئمة الأربعة . لأنه يجب على المسلمين جميعا أن يجتهدوا فى الأخذ عن الكتاب والسنة . وتلك قولة لا يراد من ورائها إلا تحقيق الباطل وانصراف المسلمين عن علمائهم وأئمتهم . والأئمة الأربعة قد أجمعت الأمة فى كل عصر على إمامتهم . وفقه

الأئمة الأربعة ليس إلا صياغة بشرية لأحكام الله تعالى المستمدة من الكتاب والسنة.

وقد حكم واضع كتاب «السنة» المنسوب إلى عبد الله بن أحمد بن حنبل. بالكفر على الإمام أبى حنيفة. وهذا الكتاب الذى أجيز كرسالة ماجستير أعتقد بيقين أنه ليس من تأليف عبد الله. ولا من تأليف أبيه. وقد اتهموا الإمام الشافعى بالتشيع تارة وبالإرجاء تارة أخرى وبالاعتزال ثالثة والإمام مالك فقد اتهموا فقهه بالضعف لأنه يستدل بعمل أهل المدينة ويقول بالمصالح المرسلة.

ومن قبلهم اتهم شيخهم الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه. وكتاب منهاج السنة وغيره يوزع الاتهامات لعلماء أجلاء. وتكفير لفئات مسلمة. وفتاواه أيضا فيها الكثير.

إن تقليد الأئمة أمر مجمع عليه لكل من لم يستطع الاجتهاد. كونه لا يملك الإمكانات التى تؤهله لذلك لأنه ليس أهلا للبحث والنظر.

ثم هم يروجون شائعات قبيحة ومغرضة على العلماء المعاصرين ويرمونهم بالعديد من الاتهامات ويصفونهم للشباب بأقبح الأوصاف لكى يربوا الشباب على كراهية العلماء حتى لا يتعاملوا معهم ولا يستفتونهم فى أمور دينهم. وعليهم أن يستفتوا هؤلاء المتعالمين من ركاب المرسيدس والشيفر. أصحاب الصرخات المسجلة على أشرطة تتحدث عن الجنة من الداخل والنار من الداخل وتكفير المجتمع والتشكيك فى نوايا الناس. ويستأنسون بالضعيف من الأحاديث وربما الموضوع منها والقصص التافه لإثارة الناس ليلتفوا حولهم يقول الإمام السبكى رحمه الله (لا تسبوا العلماء فإن لحمهم مر).

ويقول الإمام الغزالى رحمه الله (لا تسبوا العلماء لأنهم خلفاء رسول الله ﷺ) فكيف يسبون العلماء ويصرفون الناس عنهم وقد سماهم ربنا عز وجل بأنهم أهل الذكر ﴿ **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [النحل: ٤٣]

ووصفهم النبى ﷺ بالوراثة فقال (العلماء ورثة الأنبياء).

إنهم يزعمون أنهم وحدهم العالمون بالإسلام وشيخهم هو شيخ الإسلام. وأتساءل من الذى خلع عليه هذا الوصف وهو الذى قضى حياته فى صراع مع العلماء فلم يطلق عليه ذلك إلا أتباعه وخاصة تلميذه التجيب الذى تابعه بدون تردد.

وآخرون: يثيرون مسائل خلاقية بهدف اتساع دائرة الجدال وشغل الناس بأمور هامشيه لا تغنى ولا تسمن من جوع. رغم أنهم يزعمونها مسائل هامة ولا قيمة لها. مثل: الإمام لا بد أن يكون ملتحيا وإلا لا تصح إمامته. وما قال بهذا أحد فى شروط الإمامة فى الصلاة ولا بد من اتخاذ اللباس الأبيض عند المساجد، فماذا يفعل من لا يملك ثوبا أبيض؟ هو مخالف السنة ومبتدع. ولا بد من لبس الساعة فى اليد اليمنى ويحرم الاستيك المعدنى لأنه كالأسورة ولبس الأساور للنساء.

وزيارة أضرحة الصالحين شرك وبدعة. لأن الزوار يقبلون الحديد ويدعون الموتى حتى أنهم تجرؤا على رسول الله ﷺ. قال لى أحدهم: روحوا شيلوا قبره من المسجد وريحونا من هذا. وقبله قالها محقق السنة الذى غير وبدل فى تخريج أئمة الحديث وعلماء السنة وناهيك عما يقولون به فى قضية الصفات وتكفيرهم وتجهيلهم لمن عداهم من علماء الأمة وخروجهم على ما أجمعت عليه الصحابة والتابعون والأئمة الأعلام. وكذبهم على الأئمة فى النقل عنهم بالتزييف. والحذف والإضافة فيما يقول به هؤلاء الأعلام. وقد مر بنا فى قضية الصفات كيف زيفوا النقل عن الإمام الشافعى رضى الله عنه.

ثم هجومهم المستمر على التصوف والمتصوفة وتكفيرهم لعلمائه وأعلامه واتهامهم بالزندقة. إن مقولة التكفير هى لغة: الخوارج والشيعة والمعتزلة والقرامطة. وليس لغة أهل السنة ولا سلف الأمة.

واختم هذا الموضوع الذى دعا إليه ما أراه من الفوضى والفرقة والخلاف فى أسلوب الدعوة فى العالم الإسلامى. وما كنت أحب أن أتكلم فيه. ولكنه أحد همومى كداعية وأدعو قومى وخاصة الشباب منهم أن يعودوا إلى علمائهم ليوحدوا الكلمة ولتهدأ النفوس ولتتطهر القلوب (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور).

وليأخذوا من الإمام الحافظ: شمس الدين محمد الذهبى. ت ٧٤٨ هـ المثل فقد كان تلميذا لابن تيمية رحمه الله. فبهر به فوضع كتاب (العلو) فى شبابه. ولما كبر وعلم وزادت خبرته أدرك أن ما يقول به شيخه لا يجر على المسلمين إلا الفرقة والمشاحنات فكتب إليه برأيه ونزع نفسه من مدرسته.

لقد كتب إليه رسالته (النصيحة الذهبية لابن تيمية [١]) وهذا نصها:

(بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله على ذلتى يا رب ارحمنى وأقلنى عثرتى. واحفظ على إيمانى. واحزناه على قلة حزنى. وا أسفاه على السنة وذهاب أهلها. وا شوقاه إلى إخوان مؤمنين يعاوننى على البكاء. واحزناه على فقد أناس كانوا مصابيح العلم وأهل التقوى وكنوز الخيرات. آه على وجود درهم حلال وأخ مؤنس.

طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس. وتبا لمن شغله عيوب الناس عن عيبه. إلى كم ترى القذاة فى عين أخيك وتنسى الجذع فى عينك؟

إلى كم تمدح نفسك وشقائقك وعباراتك وتذم العلماء وتتبع عورات الناس مع علمك بنهى الرسول ﷺ. لا تذكروا موتاكم إلا بخير فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا بلى. أعرف إنك تقول لى: لتنصر نفسك. إنما الوقيعة فى هؤلاء

---

(١) من أصل منقول من نسخة: البرهان بن جماعة التى كتبها من نسخة الحافظ الصلاح العلائى المأخوذة من خط الحافظ الذهبى رحمه الله تعالى. انظر كتاب التوفيق الربانى: ٢٠٥ - ٢٠٧ وكتاب فرقان القرآن للشيخ سلامه العزامى ص ١٨٠ - ١٨٢ فقد ذكر بعض الفقرات من الرسالة.

الذين ما شموا رائحة الإسلام ولا عرفوا ما جاء به محمد ﷺ وهو جهاد، بلى والله عرفوا خير مما إذا عمل به العبد فقد فاز وجهلوا شيئا كثيرا مما لا يعنيهم: ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه. يا رجل: بالله عليك كف عنا فإنك محجاج عليم اللسان لا تقر ولا تنام إياكم والأغلوطات فى الدين. كره النبى ﷺ المسائل وعابها ونهى عن كثرة السؤال وقال: (إن أخوف ما أخاف على أمتى كل منافق عليم اللسان) وكثرة الكلام بغير دليل تقسى القلب إذا كان فى الحلال والحرام. فكيف إذا كان فى العبارات اليونسية والفلاسفة وتلك الكفريات التى تعمى القلوب؟ والله قد صرنا ضحكة فى الوجود فإلى كم تنبش دقائق الكفريات الفلسفية لنرد عليها بعقولنا؟ يا رجل قد بلعت سموم الفلاسفة ومصنفاتهم مرات. وبكثرة استعمال السموم يدمن عليها الجسم وتكمن والله فى البدن. واشوقاه إلى مجلس فيه تلاوة بتدبر. وخشية بتذكر وصمت بتفكر. وآها لمجلس يذكر فيه الأبرار. فعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة. لا عند ذكر الصالحين يذكرون بالازدراء واللعنة.

كان سيف الحجاج ولسان ابن حزم شقيقين. فواخيتهما بالله خلونا من ذكر بدعة الخميس وأكل الحبوب. وجدوا فى ذكر بدع كنا نعدها رأسا من الضلال. قد صارت هى محض السنة وأساس التوحيد. ومن لم يعرفها فهو كافر أو حمار. ومن لم يكفر فهو أكفر من فرعون. وتعد النصارى مثلنا. والله إن فى القلوب شكوك وإن سلم لك إيمانك بالشهادتين فأنت سعيد. يا خيبة من اتبعك فإنه معرض للزندقة والإنحلال. ولا سيما إذا كان قليل العلم والدين باطوليا شهوانيا. لكنه ينفعك ويجاهد عنك بيده ولسانه وفى الباطن عدو لك. بحاله وقلبه. فهل معظم أتباعك إلا قعيد مربوط خفيف العقل أو عامى كذاب. بليد الذهن أو غريب واجم قوى المكر. أو ناشف صالح عديم الفهم فإن لم تصدقنى ففتشهم وزنهم بالعدل.

يا مسلم اقدم حمار شهوتك لمدح نفسك. إلى كم تصادقها وتعادى الأخيار؟

إلى كم تصدقها وتزدرى بالأبرار – إلى كم تعظمها وتصغر العباد. إلى متى تخاللها وتمقت الزهاد. إلى متى تمدح كلامك بكيفية لا تمدح بها والله أحاديث الصحيحين.

يا ليت أحاديث الصحيحين تسلم منك. بل فى كل وقت تغير عليها بالتضعيف والإهدار أو بالتأويل والإنكار. اما آن لك أن ترعوى؟ أما حان لك أن تتوب وتنيب؟ أما أنت فى عشر السبعين وقد قرب الرحيل. بلى والله ما أذكر أنك تذكر الموت بل تزدرى بمن يذكر الموت. فما أظنك تقبل على قولى. ولا تصغى إلى وعظى بل لك همة كبيرة فى نقض هذه الورقة بمجلدات وتقطع لى أذناب الكلام ولا تزال تنتصر حتى أقوالك والبتة سكت فإذا كان حالك عندى وانا الشفوق المحب الواد. فكيف يكون حالك عند أعدائك. وأعداؤك والله فيهم صلحاء وعقلاء وفضلاء. كما أن أولياءك فيهم فجرة وكذبة وجهلة وبطلة وعور وبقر.

قد رضيت منك بأن تسبنى علانية. وتنتفع بمقالتى سرا (ورحم الله امرءاً أهدى إلى عيوبى) فإنى كثير العيوب غزير الذنوب. الويل لى إن أنا لا أتوب، . ووافضنيحتى من علام الغيوب. ودوائى عفو الله ومسامحته وتوفيقه وهدايته. والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين. أ.هـ.

فهذا هو مؤسس ما يسمى: السلفية أو أهل السنة والجماعة. وذلك هو شيخهم الذى بهروا به ويعتبرونه هو وحده العالم بالإسلام – قال لى ذلك أحدهم – وغيره جهلاء ودجالون وعلماء سلطة.

فهل يفيق أبناء قومى من غفوتهم ويقوموا من سباتهم ويقاوموا تخديرهم ليعرفوا وجه الحقيقة .

كفانا صراعا وكفانا خلافا وجدالا . وكفانا اتهاما بالزور والبهتان .

وأخيرا : أرجو الله سبحانه وتعالى . أن يغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا . ويوفق أبناء الأمة للعمل بما يرضيه . وأن يغفر لعلماء الأمة السابقين واللاحقين وأن يتجاوز عما بدر منهم من أخطاء وهدانا جميعا للعمل بما يرضيه عز وجل وأن يحفظ علينا إيماننا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . وصلى الله وسلم على النبى الأمين سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

* * *

المراجع

١ – القرآن الكريم

٢ – مفاتيح الغيب – الإمام فخر الدين الرازى.

٣ – الجامع لأحكام القرآن – الإمام القرطبى.

٤ – تفسير الطبرى – الإمام الطبرى.

٥ – فتح البارى – الإمام ابن حجر العسقلانى.

٦ – صحيح مسلم – الإمام النووى (شارحه)

٧ – فتح المبين – الإمام ابن حجر الهيثمى.

٨ – إحياء علوم الدين – الإمام أبو حامد الغزالى.

٩ – الفرق بين الفرق – الإمام عبد القاهر البغدادى.

١٠ – المطالب العالية – فخر الدين الرازى.

١١ – أحكام القرآن الإمام الشافعى جمع البيهقى.

١٢ – الرسالة – الإمام الشافعى

١٣ – الأم – الإمام الشافعى.

١٤ – معرفة السنن والآثار – الإمام البيهقى.

١٥ – الاعتقاد – الإمام البيهقى.

١٦ – الأسماء والصفات – الإمام البيهقى.

١٧ – مناقب الشافعى – الإمام البيهقى.

١٨ – مناقب الإمام الشافعى وبهامشه الفقه الأكبر – الفخر الرازى .

١٩ – دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه – الإمام ابن الجوزى – تحقيق : حسن السقاف .

٢٠ – الإمام الشافعى فقيها ومحدثا – رمضان أحمد عبد ربه عصفور .

٢١ – قضايا إسلامية معاصرة – رمضان أحمد عبد ربه عصفور .

٢٢ – الإمام أحمد بن حنبل – رمضان احمد عبد ربه عصفور .

٢٣ – دين الإسلام – مولانا محمد على – ترجمة : إسماعيل صادق .

٢٤ – ابن تيمية – أبو الحسن الندوى .

٢٥ – التوفيق الربانى – جمع وترتيب : ناصح شفوق .

٢٦ – البراهين الساطعة – الشيخ سلامه القضاعى العزامى .

٢٧ – فرقان القرآن – الشيخ سلامه القضاعى العزامى .

٢٨ – مباحث العقيدة فى سورة الزمر – ناصر بن على عايض حسن الشيخ .

٢٩ – منهج الإمام مالك فى إثبات العقيدة – سعود بن عبد العزيز الدعجان .

٣٠ – بدائع الفوائد – ابن القيم .

٣١ – زاد المعاد – ابن القيم .

٣٢ – مجموعة التوحيد – ابن تيمية .

٣٣ – مجموعة التوحيد – ابن عبد الوهاب .

٣٤ – الإبانة – الإمام الأشعرى – تحقيق د . فوقية حسين .

٣٥ – الرسائل والمسائل – ابن تيمية .

٣٦ – التحذير من المجازفة بالتكفير – السيد محمد بن علوى المالكى .

٣٧ – منهاج السنة – ابن تيمية .

٣٨ – نزهة المجالس – الصغورى .

٣٩ – رابعة العدوية – المؤلف .

٤٠ – مفتاح الفلاح – ابن عطاء الله السكندرى .

٤١ – الشيخ محمد بن عبد الوهاب – المؤلف (مخطوط) .

* * *

الفهـــرس

الموضــوع	الصفحة

* * *

كتب للمؤلف

- موارد الظمآن ... من هدى خير الأنام ﷺ .
- فضائل النبى ﷺ ومعرفة قدره .
- الإمام الشافعى ... فقيها ومحدّثًا .
- ديوان الإمام الشافعى ... نظمًا ونثراً .
- الإمام الشافعى ... والفكر السَّلفى .

* * *

رقم الإيداع : ٥٢٧٥ / ٢٠٠٢